الأثر السياسي لنساء السلاطين في العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

الأستاذ الدكتور

حسين داخل البهادلي

الجامعة العراقية – كلية الآداب

المدرس المساعد

إيمان أحمد منذر

الجامعة العراقية – كلية الآداب

The Political Impact of Sultan Women in the Mamluk Era (648-923 AH / 1250-1517 AD)

Prof. Dr
Hussein inside the Bahadli

Assistant Teacher
Eman Ahmed Monther

ملخص البحث

تسلط الدراسة الضوء على ظاهرة سياسية فريدة لم يشهدها التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها وفي عصورها المتعددة، وهو ولوج بعض نساء الأسر الحاكمة المعترك السياسي، وتبوأها للمناصب العليا في الحكم والإدارة والعسكر.

لقد مثَّل هذا التوجه انعطافه كبرى وتطوراً نوعياً في الفكر العربي الإسلاميّ، وتحدياً للموروث العربيّ وتقاليده وأعرافه، وكذلك الثقافة السائدة آنذاك والنظرية السياسية الإسلامية.

إنَّ عقد هذه الدراسة هو بيان دور نساء السلاطين والأمراء والمماليك وجواريهم في الحياة السياسية للدولة المملوكية لأكثر من قرنين ونصف من الزَّمان وهي إضافة أخرى للدراسات التي خُصصت في هذا المجال.

Abstract

This paper highlights a unique political phenomenon that never known in the political history of the Islamic and Arabian state since early times and throughout its successive periods when women had ascended the throne and joined the political arena and high administrative, military offices in the state as well.

The phenomenon represented a big paradigm shift and a great development in the Islamic Arabic political thought and it also constituted a challenge to the Islamic Arabic legacy, its traditions and customs, also the mainstream culture at that time not to mention the Islamic political theory.

This paper tries to show the role of Sultan's, Princes' and Mamluk's women and when women had ascended the throne and joined the political activities for first time in the political life of Mamluk State for more than two centuries and a half. It is considered as another addition to the studies of the field concerned.

المقدمة

شهد التاريخ السياسي للعديد من الدول ولاسيّما الفارسية أو البيزنطية وفي حقب مختلفة تبوأ بعض نساء الأسر الحاكمة مناصب عليا في الحكم والإدارة والعسكر، ولم يكن توليها لهذه المناصب تشريفاً أو مجاملة، إذ استطاعت بعضهنّ بفضل ذكائهنّ وفطنتهنّ في ولوج العمل السياسي في ظروف بالغة التعقيد، وقد تمكّن في أحيان عدة بالتأثير في كثير من أحداث تاريخ دولهنّ أو الدول الأخرى التي كانت تحت سيطرة دولهنّ، ومن الميسور جداً على القارئ أو الدارس رصد نماذج نسائية من الأُسر الحاكمة في هاتين الدولتين قد تبوأت مناصب عليا في الحكم والإدارة في المصادر المتيسرة، ولم تقتصر ظاهرة دخول نساء الأسر الحاكمة في العمل السياسي على الدولتين الآنفتي الذكر، فقد شهد التاريخ العربيّ قبل الإسلام دخول بعض نساء الأسر الحاكمة النشاط السياسي وتمكنهنّ من تبوأ أعلى المناصب في الحكم والإدارة والعسكر، ومثال ذلك زنوبيا أو الزباء ملكة تدمر.

ومع أَنَّ التاريخ العربيَّ الإسلاميَّ منذ نشأة الدولة العربية الإسلامية لم يشهد هذه الظاهرة بسبب سيادة العنصر الذكوري من جهة، وطبيعة المجتمع العربيّ الإسلاميّ الذي لم يكن آنذاك مهيئاً لدخول النساء المعترك السياسي أو تبوأهن للمناصب العليا في الحكم والإدارة لتعارض ذلك مع الثقافة السائدة آنذاك والنظرية السياسية الإسلامية من جهة أخرى، فإن العصر المملوكي بحقبتيه البحرية (٦٤٨-٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) والجركسية (٧٨٤-٩٢٣ هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) مثّل استثناءً ملحوظاً وتوجهاً مخالفاً للنهج الذي سلكته الدولة العربية الإسلامية عبر عصورها المتعددة؛ إذ شهد هذا العصر حضور بعض نساء السلاطين والأمراء العمل السياسي على الرغم من المعارضة العلنية لهذا التوجه سواءً من الخلافة العباسية في بغداد أو بعد انتقالها إلى القاهرة فيما بعد أو بعض فئات المجتمعين المصري والشامي أو من بعض فقهاء هذا العصر، وسنحاول في هذه الدراسة بيان فيما اذا كان توجه الدولة المملوكية في هذا المجال يمثل تطوراً نوعياً في العقلية السياسية الحاكمة آنذاك أم أن ذلك التوجه قد فرضته ظروف سياسية وعسكرية.

إنتظمت الدراسة في مبحثين، الأول تناول دور نساء المماليك في الحياة السياسية، وخصص الثاني للحديث عن دور بعض نساء المماليك وجواريهم في إدارة الدولة عن بُعدٍ! وتمثّل ذلك في إحاكة المؤامرات السياسية.

أولاً: دور نساء المماليك في الحياة السياسية:

اضطلعت نساء السلاطين أو الأمراء المماليك بدور مهم في الحكم والإدارة، واستطاعت فرض شخصيتها في كثير من المواقف، وامتازت إلى جانب ذلك بالحكمة وحسن تدبير الأمور، والثبات والإقدام والشجاعة، وقد تجسدت تلك الصفات في عدة شخصيات نسائية من المماليك، ولعل النموذج الأبرز الذي ليس بوسع الباحث إلا أن يقف أمامه متأملاً لتأثيره الكبير في مجريات أحداث دولتين كبيرتين هما الأيوبية والمملوكية، سيدة البلاط الأولى شجرة الدّر، فهذه المرأة ارتبط اسمها بحالة سياسية فريدة في التاريخ، وهي أن توليها للحكم ولو لمدة قليلة لاتتجاوز الثلاث أشهر، إلا أن هذه التولية تمثل انتقالاً للحكم من الأسرة الأيوبية التي حكمت مصر وبلاد الشام لأكثر من ثمانية عقود من الزمان إلى المماليك، فضلاً عن ذلك، فإن عهدها سواءً في حياة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٨-٦٤٧ هـ/ ١٢٤٠-١٢٤٩م)، وبعد وفاته ، ومن ثم توليها للحكم بعد مقتل آخر سلطان أيوبي وهو الملك المعظم توران شاه (٦٤٧-٦٤٨ هـ/ ١٢٤٩-١٢٥٠م)، ومن ثم تنازلها عن العرش للأمير المملوكي عز الدين ايبك (٦٤٨-٦٥٥ هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م)، قد تخلله أحداثاً سياسية وعسكرية تعاملت مع بعضها بحزم ورباطة جأش يصعب على الرجال مواجهتها، وفي أحيان أخرى تعاملت مع بعضها بعاطفة المرأة ولاسيّما بعد تنازلها عن العرش للامير عز الدين أيبك سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م.

بدأت شجرة الدّر حياتها السياسية جارية للملك الصالح نجم الدين أَيوب ، ثم زوجة له[١]، إذ اتيح لها هذا القرب من التمرس بشؤون الحكم والإدارة، ولم يمض على ذلك مدة حتى اكتسبت خبرة ودراية لم تكسبها امرأة قبلها أو بعدها[٢].

وممّا يظهر في الإشارات الواردة في المؤلفات المتيسرة، انَّ شجرة الدّر لم تفارق زوجها في حلّه وترحاله، فكانت تلازمه في جميع المهام السياسية والعسكرية، وقد أناط بها بعض مهامه كقضاء حوائج الناس، أو التوقيع على المراسيم السلطانية نيابة عنه[٣]، وازداد دورها في الحياة

السياسية بشكل ملفت في أثناء مرض زوجها الملك الصالح، إذ تشير تلك المصادر الى ان شجرة الدّر قد اضطلعت بمهمتين كبيرتين، الأولى: رعاية زوجها المريض، والأخرى: تدبير شؤون الحكم، وقد أظهرت في هاتين المهمتين مقدرة سياسية وإدارية وعسكرية حفظت للدولة الأيوبية هيبتها ومكانتها في ظل أوضاع سياسية وعسكرية بالغة التعقيد، فقد اخفت خبر وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب[٤]، مؤقتاً لإدراكها خطورة التصريح بوفاته؛ لأَنَّ البلاد كانت تعصف بها أزمات سياسية وعسكرية جراءَ التوغل الصليبي الذي وصل إلى (دمياط)[٥]، فضلاً عن طموح بعض الأمراء في الاستئثار في الحكم مما قد يعرض الدولة لخطر الاقتتال الداخلي[٦]، ومما يبدو فإن شجرة الدّر كانت تدرك، انَّ القيام بتلك المهمة وحدها غاية في الصعوبة، وكان عليها اللجوء إلى بعض المقربين من أتباع زوجها لمساعدتها في الحفاظ على الدولة ومكتسباتها، وقد تمكنت من كسب هؤلاء إلى جانبها بعد إِخبارهم عن وفاة الملك الصالح، إذ طلبت منهم عدم إِعلان خبر الوفاة إلا بعد ان تستقيم الأمور، ويتلاشى خطر الصليبيين عن البلاد، وقد أَقسم هؤلاء لها يمين الطاعة والولاء ووافقوا على إجراءاتها في معالجة الأوضاع بالشكل الذي يحفظ للدولة الأيوبية وحدتها ومكانتها وهيبتها، الأمر الذي مكنها من تمشية أمور الدولة وإصدار الأوامر السلطانية المهورة بتوقيع زوجها الملك الصالح، وفي الوقت نفسه أرسلت إلى ابن زوجها وولي عهده توران شاه، وكان مقيماً في حصن كيفا[٧]، للمجيء إلى مصر لتسنم الحكم[٨]، ولما وصل الأخير إلى مصر تسنم حكم الدولة الأيوبية، وأعلن خبر وفاة أبيه الملك الصالح[٩].

والواقع، فقد تولى توران شاه الحكم في ظروف عصيبة، وكانت أولى مهامه قيادة الجيش وطرد الصليبيين من المدن المصرية، وقد تيسرت له الظروف بفضل مساندة شجرة الدّر والأمراء المماليك وعامة الشعب المصري، فأُزيل الخطر الصليبي نهائياً بعد الانتصار المذهل عليهم سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م[١٠]، وقد أفلحت الجهود جميعاً في إفشال أخطر حملة صليبية على مصر وهي الحملة الصليبية السابعة[١١]، التي كان لشجرة الدّر دور مهم فيما تحقق فيها، فقادت المفاوضات التي جرت بعد المعركة بكل ثبات وحزم، إذ اصرت على عدم تسليم الملك الصليبي لويس التاسع الذي وقع أسيراً بيد القوات المصرية في أثناء المعركة، إلا بعد تنفيذ كل بنود الاتفاقية التي أَنهت الحملة الصليبية السابعة على مصر[١٢].

ومما يظهر من المصادر المتيسرة، فإن توران شاه تولى حكم الدولة الأيوبية ولم تكن لديه حنكة سياسية، إذ سرعان ما انقلب على المماليك، وأَهمل كبار رجال الدولة من الأمراء وأَهل العقد والحل، والانكى من كل ذلك تنكر لزوجة أبيه التي لولاها لما تقلد الحكم، وطالبها بأموال والده[١٣]، ممّا أَعطى هؤلاء جميعاً الفرصة للتخطيط لقتله قبل أَن يبدأ بالتنكيل بهم أو قتلهم[١٤].

تولت شجرة الدّر الحكم بعد مقتل توران شاه سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م وبذلك تبوأت أعلى منصب في الدولة وهو السلطنة، وهذا في الواقع تطور كبير في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ مصر على وجه الخصوص، إذ كان هذا المنصب حكراً للرجال، ولم يكن بمقدور أية امرأة مجرد التفكير في الوصول إليه، ومع ذلك فقد ظل هاجس شجرة الدّر قلقاً من العودة مرة أخرى إلى ما يصطلح عليه أحد الباحثين المحدثين ظل الحريم البارد؛ لانها تدرك ان ثباتها يعني عدم الرجوع إلى الظل الذي يفرضه المجال الانثوي[١٥].

ومّما يظهر من بعض الروايات التاريخية ، أن سلطنة شجرة الدّر لم تكن على مصر وحدها بل امتدت إلى بلاد الشام، إذ ورد في تضاعيف تلك الروايات، انه لما قتل توران شاه خطب لها على منابر الشام ومصر بأم الخليل شجرة الدّر معشوقة الملك الصالح[١٦].

ومما يبدو، انَّ شجرة الدّر حاولت منذ بداية عهدها كسب المماليك البحرية إلى جانبها من خلال تقديم الأموال والجنود لهم، فعملوا في خدمتها، وخطب لها على المنابر، وسكَّت النقود بأسمائها "المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أبر المؤمنين، وكانت تتمسك بلقب أم خليل صاحبة الملك الصالح[١٧]، لأبقاء صلتها بالأيوبيين، ولكي لا يظن المصريون ان انقلاباً قد حدث في بلادهم بقيادة المماليك، فضلاً عن ان تسلم السلطة على حساب حكامهم الأيوبيين أمر غير مرغوب به في تلك الظروف.

وهناك أمر مهم آخر لابدّ من التنويه اليه، وهو أن المؤرخين المصريين المتأخرين قد اختلفوا فيما اذا كان تسنم شجرة الدّر بحكم مصر وبعض أجزاء بلاد الشام يعدّ استمراراً للحكم الأيوبي أو بداية لحكم المماليك، فالمقريزي يرى انها "أول من ملك مصر من ملوك الترك والتركمان"[١٨]، في حين يرى ابن اياس انها استمرار للحكم الأيوبي، إذ أورد في أثناء حديثه عن عزالدين ايبك عنواناً نصه "ذكر ابتداء دولة الأتراك في مصر"[١٩].

ومهما يكن من الأمر، فإن شجرة الدّر على الرغم من قصر المدة التي تولت فيها حكم مصر، فقد نهجت سياسة التقرب من الخاصة والعامة، بيد ان الرأي العام في مصر لم يكن مهيئاً لتبوؤ امرأة للحكم وتدبير شؤون البلاد، لتناقضه مع طبيعة المجتمعات العربية والإسلامية من جهة، فضلاً عن ان النظرية السياسية الإسلامية آنذاك لاتحبذ بأي حال من الأحوال تولي أمرة الحكم من جهة أخرى[٢٠].

وممّا يدلّل على ذلك، أن العامة في مصر قد عبرت عن رفضها تولي شجرة الدّر الحكم من خلال القيام بالتظاهرات والاضطرابات التي تحولت فيما بعد إلى أحداث شغب[٢١]، ممّا جعل الأخيرة تغلق أبواب مدينة القاهرة خشية أمتداد أحداث الشغب إلى المدن المصرية الأخرى، بيد أن هذا الإجراء لم يسهم في احتواء الموقف المتأزم.

والواقع، فإن المعارضة لتولي شجرة الدّر حكم مصر لم تقتصر على العامة في مصر، وانما من الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦ هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م) باعتباره الخليفة الوحيد الذي يستمد منه السلاطين والأمراء شرعيتهم في بلدانهم نيابة عنه، فقد اعترض هذا الخليفة على تولي شجرة الدّر حكم مصر، وقد ارسل كتاباً إلى مماليك مصر يقول فيه ما نصه: "إن كانت قد عدمت عندكم الرجال، فأعلمونا حتى نسيّر اليكم رجلاً"[٢٢].

ومما يظهر، فإن شجرة الدّر كانت في موقف لاتحسّد عليه، فالاضطرابات توسعت لتشمل أغلب مناطق القاهرة والمدن المصرية الأخرى، ممّا أضطرها لتوجيه الدعوة للأمراء والمماليك والقضاة، وعرض الأمر عليهم لمساعدتها، وإبداء المشورة لاحتواء الموقف، وقد لبى هؤلاء دعوتها، وفي هذا اللقاء أشار عليها هؤلاء بالتنازل عن العرش للأمير عز الدين ايبك مقابل زواجها منه لتبقى قريبة من الحكم، ولم يكن أمامها سوى الموافقة على هذا الرأي، وقد تولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٢٣] عقد زواجها على المعز أيبك، وبهذه الطريقة تنازلت شجرة الدّر عن الحكم بعد مدة قدرتها المصادر بين ثمانين يوماً[٢٤] أو ثلاثة اشهر[٢٥].

وفي هذا الصدد تشير الدكتورة بحرية اوج أوق في كتابها النساء الحاكمات في التاريخ، انه على الرغم من ان احد المستشرقين الفرنسيين، ادعى ان عدداً كبيراً من المؤرخين قد زعموا ان شجرة الدّر كانت لها علاقة ودية وثيقة بأيبك في عهد زوجها الملك الصالح، إلا انه لا يوجد دليل على صحة ذلك القول[٢٦]؛ إذ لا نجد من يؤيد هذه الصلة أو العلاقة سوى جرجي زيدان

في كتابه تاريخ مصر الحديث، إذ ذكر انها تولت زمام الأمور بعد ان تواطأت مع ايبك، وكان من اقوى الأمراء نفوذاً آنذاك، وكانت بينهما علاقة ودية منذ ايام الملك الصالح[٢٧].

وتشير الدكتورة بحرية أيضاً الى انه لا يمكن التسليم بصحة هذه الادعاءات، إذ لو كانت كذلك لما سمح الأمراء الأوفياء، للملك الصالح أن تعتلي شجرة الدّر العرش بعد خيانة زوجها، لا سيما ان العالم الإسلامي يعد ذلك من أكبر الذنوب، فضلاً عن انهم لم يسمحوا لشريكها أيبك ان يصبح قائداً في الجيش، والى جانب ذلك كله ان مثل هذه الادعاءات في الدول الشرقية لم تكن تؤدي إلى ابعاد النساء من السلطة فحسب بل من الممكن ان تؤدي إلى قتلهن[٢٨].

ومهما يكن من أمر، فإن زواج شجرة الدّر بأيبك كان حلاً صائباً فرضته معطيات سياسية في ظروف بالغة التعقيد، وقد أشار الدوداري إلى ذلك بقوله "وسبب ملكه ان الأمراء لما نظروا لما جرى من التشويش، وما الناس فيه من النهب وقلة الحرمة وتحريك الملك الناصر صاحب الشام عليهم من جهة، وتحريك المغيث صاحب الكرك من جهة اخرى، وان المرأة لا تقوم بسياسة المملكة وان الطمع قد وقع منهم لذلك، فأجمعوا رأيهم، واقاموا من بينهم الأمير عزالدين ايبك التركماني"[٢٩].

ويرى الباحثان، إن قبول شجرة الدّر بالزواج من أيبك، مقابل التنازل له عن العرش، يؤكد صواب رؤيتها السياسية؛ لأنها ستظل قريبة من الحكم أولاً؛ ولأن تجربتها السابقة مع زوجها الملك الصالح ربما أعطتها خبرة ودراية في التصرف في هكذا ظروف ثانياً، فضلاً عن انَّ عزالدين أيبك ربما يتيح لها إرضاء الأيوبيين في بلاد الشام، ومما يؤكد ذلك تنازل الأمير عز الدين ايبك لصبي من الأيوبيين في بلاد الشام، ولو كان شكلياً[٣٠].

وعلى أية حال، فإن العلاقة بين شجرة الدّر وعزالدين ايبك لم تستمر سوى مدة قليلة بسبب عاطفة الغيرة التي تولدت لديها من استمراره مع زوجته الأولى وأم ولده المنصور علي وإقدامه على خطبة ابنة صاحب الموصل بدرالدين لؤلؤ إلى جانب أُمور أخرى تتعلق بسياسة ايبك مع الرعية[٣١].

ومما يبدو، فإن شجرة الدّر قد وصلت إلى حالة نفسية لم تستطع من خلالها الخروج من عاطفة الغيرة التي تملكتها، فبدأت في استدراج المعز أيبك للعودة إلى مصر بعد ان هجرها مدة

من الزمن بسبب تلك الغيرة[٣٢]، وعندما وصل إلى القاهرة دبرت له مؤامرة بالاشتراك مع بعض غلمانها، إذ انقض هؤلاء عليه وهو في الحمام وقتلوه غيلة[٣٣]، بيد ان سرعان ما وجهت إليها الاتهامات بضلوعها في قتله من زوجة المعز ايبك الأولى وأم ولده المنصور، ولم تمض مدة قليلة حتى قتلت بطريقة مؤلمة[٣٤].

واذا كانت نهاية تلك المرأة بهذه الفاجعة المؤلمة، فإن ذلك لم يقلل من صيتها الذي جعل منها النموذج النسائي الأكثر تأثيراً في الاحداث السياسية آنذاك سواءً في دورها المثير للجدل في اخريات الدولة الأيوبية أو في تأسيس دولة المماليك البحرية، فنالت كما يقول ابن تغري بردي "من الدنيا ما لم تنله امرأة قبلها، ولا بعدها"[٣٥].

لم يخلو العصر المملوكي سواء في حياة شجرة الدّر أو بعد وفاتها من نماذج نسائية اخرى من أمهات أو زوجات الأمراء المماليك، إذ ترد اشارات مهمة في المصادر المتيسرة عن تأثير بعضهن في الحياة السياسية لدولة المماليك، ومن هذه النسوة زوجة عزالدين ايبك الأولى وأم ولده المنصور، إذ تمكنت هذه السيدة من ان تتحكم في امور الدولة المملوكية من خلال الوصاية على ابنها السلطان المنصور الذي لم يستطع تدبير أمور البلاد بسبب صغره من جهة، ولأنصرافه باللهو واللعب من جهة أخرى، وفي ذلك يقول المقريزي "وكانت قد كثرت مفاسد الملك المنصور علي بن المعز ايبك، واستهتر في اللعب، وتحكمت أُمه، فاضطربت الأُمور"[٣٦]، وفي هذا المجال أيضاً يقول ابن دقماق "وكانت والدته تدبر الملك تدبير النساء"[٣٧].

ومن النماذج النسائية الأُخرى التي أَدت دوراً مؤثراً في رأب الصدع واصلاح ذات البين في الدولة المملوكية، القبطية بنت الملك المفضل قطب الدين بن العادل بن ايوب، وكانت احدى قريبات الملك المغيث[٣٨] صاحب الكرك، إذ طلب منها الأخير التوسط لدى ابن عمه الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب دمشق لأنهاء الحرب بينهما، وبذلك انهت الحرب بعقد الصلح بين الطرفين سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م[٣٩].

ولم يقتصر دور والدة المغيث عمر صاحب الكرك على ذلك، فقد تدخلت لدى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٩-١٢٧٧م) من اجل منح الأمان الى ابنها المغيث، إذ تشير المصادر الى أن والدة المغيث التقت بالسلطان الظاهر بيبرس في غزة

سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م في أثناء مسيره إلى بلاد الشام وطلبت منه الامان لابنها، وقد أَحسن بيبرس وفادتها واجابها إلى ما طلبته[٤٠].

ويبدو، أن دور نساء المماليك في الحياة السياسية لم يقتصر في التوسط لحل النزاعات التي تنشأ بين الأمراء المماليك أو في احيان أخرى لطلب الأمان بل تعدى الى مساعدة بعض الأمراء على التخلص منهم على الحكم، فقد ذكرت المصادر ان خوند[٤١] بركة بنت بركة خان حسام الدين الأمير الخوارزمي زوجة الظاهر بيبرس أدت دور مهماً في تثبيت السلطة لابنها السعيد بركة[٤٢](٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م)، من خلال مساعدته في التخلص من منافسه بدرالدين بيلبكال خازندار[٤٣].

ومما يظهر من المصادر المتيسرة، ان السيدة بركة خان كان لها تأثير سياسي كبير في أثناء حكم ولدها الملك السعيد، فضلاً عن الاحترام الذي كان يكنه لها الأمراء المماليك على الرغم من سوء تصرفات ولدها الملك السعيد معهم[٤٤].

وقد حاولت تلك السيدة في مناسبات عدة تقويم سلوك ولدها الملك السعيد من خلال تعنيفه وبيان جهله بأمور الدولة[٤٥]، ومما يبدو فإن نصائحها لولدها الملك السعيد لم تجد آذاناً صاغية في بعض الأحيان بسبب البطانة الفاسدة التي كانت حوله، ومثال على ذلك سفرها معه إلى بلاد الشام سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م من أجل عقد صلح مع الأمراء المماليك الذين كانوا يأخذون على ولدها الملك السعيد عدم اكتراثه بمكانتهم ومنزلتهم في الدولة، فضلاً عن اعتقال العديد من اتباعهم، وقد حاولت تلك السيدة بما اتصفت به من ذكاء وفطنة تبديد مخاوفهم من خلال إيصال رسالة لهم بأن ما وصل اليهم من ولدها الملك السعيد لم يكن دقيقاً، وان الأخير يكنُّ لهم الاحترام؛ لأنها كانت تعي جيداً قوة الأمراء المماليك وقدرتهم على قلب الأمور، وقد قبلت شروطهم، ولما رجعت إلى مصر تنكر ولدها لشروط الصلح مع المماليك بتأثير بطانته مما جعله يخسر ملكهُ في نهاية الأمر[٤٦].

وعلى اية حال، فقد قرر الأمراء المماليك خلع الملك السعيد وابعاده إلى قلعة الكرك لإدارة شؤونها، وتولية أخيه الملك بدرالدين سلامش[٤٧] سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م الحكم بدلاً عنه[٤٨]،

ومن الشواهد التاريخية الأخرى على تأثير نساء المماليك في الحياة السياسية، الاحداث التي تلت مقتل السلطان الأشرف خليل في تروجة[٤٩]، إذ قام كتبغا نائب السلطنة بالقبض

على الوزير شمس الدين السلعوس[٥٠]، فأرسلت خوند اردوتكين زوجة السلطان خليل إلى كتبغا[٥١] نائب الشام، تشفع فيه؛ لانه كان من أصحاب السلطان، وكان إلى جانب ذلك يحظى بمنزلة عظيمة[٥٢]، فلبى نائب السلطنة طلبها[٥٣].

وقد أشارت المصادر التاريخية أيضاً إلى الدور السياسي الذي ادته خوند اشلون[٥٤] أم السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٥٥] في مدة حكمه الأولى (٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)، وكان عمره آنذاك تسع سنوات سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، ولم يكن له في الملك شيء بسبب تكالب الأمراء المماليك على السلطة[٥٦]، إذ نشب صراع بينهم، ولاسيّما بين الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واتابك العسكر من جهة وبين الأمير علم الدين سنجر الشجاعي من جهة أخرى[٥٧]، حيث رغب كلاهما في الاستيلاء على عرش السلطنة، فسارع كتبغا بحصار الشجاعي بالقلعة، مما اثار خشية خوند اشلون من ان يؤدي ذلك إلى عزل ابنها وقتله؛ لأنها كانت على علم بما يدبره الأمير كتبغا لعزل ابنها الناصر[٥٨].

وقد ذكرت المصادر التاريخية، ان خوند اشلون صعدت إلى سور القلعة بعد ان طال الحصار عند باب السلسلة[٥٩]، بغية الحديث مع الأمير كتبغا والمماليك المحاصرين للقلعة ومعرفة مطالبهم، وقالت لهم "ايش هو غرضكم حتى اننا نعمله لكم؟ فقالوا: ما لنا غرض إلا مسك الشجاعي واخماد الفتنة، ونحن لو بقيت بنت عمياء من بنات استاذنا الملك المنصور قلاوون كنا مماليكها لا سيما وولده الناصر محمد حاضر وفيه كفاية"[٦٠]، ثم رجعت خوند آشلون إلى مكانها، لانها تعلم برغبة الأمير كتبغا في خلع الناصر محمد من منصب السلطنة، ثم أرسلت إليه تعلمه برغبتها في السفر هي وابنها إلى الكرك، بعد ان بكى كتبغا وقال: ان السلطان استاذي وابن أستاذي وما عندي أعز منه احد[٦١].

وحينما رأت ان الفتنة ستنتهي بقتل الشجاعي رجعت واتفقت مع الأمير لاجين واغلقوا باب القلعة، وبقي الأمير الشجاعي محاصراً حتى سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٦٤م، عندئذٍ تحول عنه اتباعه من المماليك، مما اضطره إلى طلب الامان، بيد ان الأمراء اتباع الأمير كتبغا لم يرضوا منحه الامان وقتلوه[٦٢]، ولما اراد الأمير كتبغا عزل الناصر محمد حرصاً على ارضاء خوند آشلون وعرفها ان سبب عزل ابنها إنما لصغر سنه، وان العدو قاصد بلاد الشام[٦٣]، خرجت بابنها الناصر محمد إلى بلاد الكرك سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م[٦٤]، وأرسل اليها كتبغا يطيب

خاطرها، مع هدايا ثمينة وجميع ما تحتاج اليه ويحتاج له ولدها[٦٥]، وبعد قتل السلطان المملوكي حسام الدين لاجين[٦٦] سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م) اتفق أمراء المماليك على إعادة الناصر محمد قلاوون للسلطنة مرة ثانية، الذي كان وقتئذ متجهاً إلى الكرك ليجمع قواه، وكتبوا إلى خوند اشلون كتاباً لإعلامها بما حدث، ولكنها ظنت انها حيلة من حسام الدين لاجين لقتل ابنها، فأبت وامتنعت، بيد ان نائب امير الكرك تدخل لتوضيح حقيقة الأمر لها، وهكذا رجع الناصر محمد قلاوون إلى السلطنة مرة ثانية[٦٧]، ومما يظهر تأثير خوند أردوكين أيضاً في اثناء حكم زوجها الناصر قلاوون كبيراً، ففي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م استجار بها عبد الله بن ايبك والد المؤرخ الداوداري من اجل اعفاءه من وظيفته بمصر خوفاً من تربص الأُمراء الكبار به، فطلبت من زوجها أعفاءه وتعينه في وظيفة اخرى في بلاد الشام[٦٨].

وأوردت المصادر التاريخية أيضاً نفوذ امرأة اخرى من المماليك وهي خوند طغاي[٦٩] زوجة الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده انوك[٧٠]، إذ ذكرت المصادر ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون شغف بزوجته طغاي حتى انه هـجر زوجته الأولى خـوند اردوتكين، واصبحت طغاي هي خوند الكبرى، مع وجود زوجته ابنة الأمير تنكز[٧١] نائب الشام، وكان الأمير تنكز إذا جهز تقادم إلى السلطان الناصر يخص خوند طغاي بجزء كبير من الهدايا[٧٢]. واستأثرت خوند طغاي بنفوذ قوي في الدولة، وليس اول من عظم نفوذها ان الأمراء كانوا يترجلون لها عند النزول، ويمشون بين يديها، ويقبلون الأرض لها، كما كانوا يفعلون مع السلطان[٧٣].

ومما زاد في مكانتها لدى الناصر محمد، إنجابها لولده انوك، الذي حظي هو الآخر بمنزلة متميزة لدى والده، من دون سائر اخوته على الرغم من انهم اسن منه، فأعطاه أعلى رتبة عسكرية في الجيش المملوكي، وهي رتبة أمير مائة مقدم الف[٧٤]، في حين اعطى بقية اخوته رتبة اقل، وهي رتبة امير طبلخاناه[٧٥]، ومنحه رنك[٧٦] جده المنصور قلاوون، وزوجه ابنة الأمير بكتمر الساقي[٧٧] وهو في العاشرة من عمره أو دونها، واحتفل بزواجه احتفالات كثيرة[٧٨] وقد ذكر ابن ايبك الصفدي أنه "لم يكن عند أبيه اعز منه لانه ابن الخوندة"[٧٩].

وقد اضفى الناصر محمد على خوند طغاي أم انوك الكثير من الألقاب، كانت تكتب اليها وهي في الحجاز ومنها، الجهة الشريفة العالية المعظمة، المحجبة المصونة، الكبرى، خوند خاتون، جلال النساء في العالمين، قرينة الملوك والسلاطين[٨٠]، ومما يبدو، أن خوند طغاي قد حظيت

لدى السلطان الناصر إلى الحد الذي دفع السلطان إلى الغاء مكس القمح في مكة الشريفة في السنة التي حجت فيها[٨١].

ومن الشواهد الأخرى التي تدلل على مكانة خوند طغاي لجوء اصحاب المظالم اليها للشفاعة لدى السلطان، ففي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م شفعت في الأمير فضل الله بن عيسى امير عربان الشام الذي خرج عن طاعة الناصر فعفى الناصر عنه، واعاده إلى امرة العرب[٨٢]، وفي سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م اشتط النشو[٨٣] في ظلم التجار برمي البضاعة التي تحدث فيها المظالم حيث تقوم الدولة المتمثلة بناظر الخاص[٨٤] بشراء البضائع من الناس بأبخس الاثمان ثم تعرض على التجار شرائها اضعاف ثمنها[٨٥]، إذ ضاعف النشو سعرها والزم التاجر بدفع الفي دينار لشراء الخشب، في حين ان قيمة الخشب تساوي الفي درهم، فلجأ التاجر إلى خوند طغاي، واخبرها بما وقع عليه من الظلم، فأخبرت السلطان بذلك، فأمر الاخير بتقصي القضية واستدعى النشو ووبخه[٨٦]، وعندما شغف ولدها انوك بامرأة من المغنيات تدعى "الزهرة" عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقي، وافرد لها منزلاً ببركة الجيش[٨٧]، بلغ ذلك السلطان الناصر فمنعها عنه فمرض[٨٨]، وعلمت امه طغاي وشفعت له ومكنته من هواه، ولما علم السلطان بذلك استدعى انوك، وهم بقتله فمنعته امه وجواريها[٨٩].

ويظهر من المصادر التاريخية، أن نفوذ خوند طغاي قد استعمر أيضاً بعد وفاة الناصر محمد، فقد ذكر ابن حجر انها كانت معظمة في ايامه وبعده إلى ان توفيت في شوال سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م[٩٠].

وعندما اراد السلطان الكامل شعبان[٩١](٧٤٦-٧٤٧هـ/ ١٣٤٥-١٣٤٦م) مصادرة اموال الطواشي[٩٢] عرفات واخراجه إلى الشام واخذه لأموال الطواشي الآخر كافور الهندي[٩٣]، طلبت خوند طغاي الشفاعة منه عند السلطان الذي خفف ذلك بنفيه إلى القدس[٩٤].

ويظهر دور نساء المماليك أيضاً في الحفاظ على العرش بعد وفاة ازواجهن من السلاطين، إذ عملت على تثبيت دعائم الحكم لأبنائهن، فعندما توفي صاحب حماة الملك المؤيد إسماعيل الأيوبي[٩٥] سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م اخفت زوجته أم الأفضل خبر وفاته، وكان أبنها الأفضل وقتئذ يبلغ عشرين عاماً، وسارت إلى نائب الشام تنكز بهدية، وطلبت منه ان يولي ابنها

الأفضل ملك حماة، فقبل الأمير تنكز هديتها، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون بوفاة الملك المؤيد، وتعيين ولده الأفضل مكانه، فأستجاب السلطان لذلك الطلب[٩٦]، ولم تلبث ان توسطت مرة اخرى لابنها عندما استدعاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر، لما وصل اليه من أخبار عن تعسفه في المصادرات سواءً للتجار أو القضاة، فسافرت والدته بنفسها إلى نائب الشام، فاستجاب لطلبها، وكتب لابنها كتاب شفاعة للسلطان وضمنه بأنه لن يعود إلى مثلها[٩٧].

وكان لنساء البادية أيضاً دور في دخول مهنا بن عيسى[٩٨] (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) إلى مصر تحت الطاعة السلطان الناصر قلاوون الذي كان يحثه على الدخول في طاعته، وهو يأبى ذلك، وقد رغبّ الأخير أولاده وحجابه وسائر من يتصل به في الأموال والضياع وغيرها، كي يأمرونه بالحضور إلى مصر، فلم يوافق على ذلك حتى ان نسائه تدخلن في الأمر وأوضحن له، أن السلطان لاقصد له سوى ان يكون كالآخرين تحت طاعته خاضعاً له[٩٩].

واشارت المصادر التاريخية أيضاً إلى النفوذ الذي تمتعت به ام السلطان الكامل شعبان في الدولة، فعندما اراد السلطان الخروج للحج في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، اعترض بعض امراء المماليك بسبب الظروف التي كانت تمر بها دولة المماليك من جراء خطر فيضان نهر النيل وتدهور الأوضاع في بلاد الشام، بيد ان تلك المعارضة اصطدمت برفض قاطع من نساء السلطان ووالدته، إذ أصرّن على خروجه للحج، ولم يكن امام الأمراء المماليك سوى الاستجابة لرغبتهن وتجهيز متطلبات السفر إلى الحجاز[١٠٠].

والواقع، فقد كان شغف السلطان بنسائه وحظاياه وانقطاعه إليهنّ، وتبذيره الأموال الطائلة لإرضائهنّ، قد شجعهنّ على التطلع إلى أموال الآخرين، لمكانتهنّ عند السلطان وتأثيرهنّ عليه، ممّا أغضب الأمراء على السلطان لتمكينه النساء من التصرف في أُمور الدولة، وكثرة طمعهن بما في أيدي الناس من أملاك، حيث قمن بمصادرة الدواليب والأَحجار والبساتين والدور ونحوها[١٠١]، فأخذت أُمه معصرة وزير بغداد، نجم الدين بن علي بن شروين (ت٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) الذي تولى الوزارة المهدية اكثر من مرة[١٠٢] وأخذت اتفاق أربعة أحجار، وأخذت أمه أيضاً منظرة على بركة الفيل[١٠٣]، وأخذت عند مصادرة خوان سلار[١٠٤] الطباخ داره التي على البحر وكانت من الدور العظيمة[١٠٥].

كما أخذت من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج[١٠٦] ودولاب بها[١٠٧]، فقام الأمراء بعزل الكامل شعبان من منصب السلطنة ثم قتلوه، وبعد تولي المظفر حاجي[١٠٨] السلطنة في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م امر بأم السلطان الكامل شعبان وزوجاته بالنزول إلى القلعة في القاهرة، وقرر اعادة الأملاك التي اخذها حريم الكامل لأصحابها[١٠٩].

واما في عهد السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد[١١٠] (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٣٥-١٣٤٢م)، فقد تدخلت الجواري كثيراً في امور السلطنة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل عارضت علناً ما يصدر من السلطان في مصر أو نائبه في بلاد الشام من مراسيم سلطانية، ومثال ذلك اعتراض بعض الجواري في بلاد الشام على مايصدر من نائب السلطنة الأمير حاج آل ملك[١١١]، وابطاله اذا لزم الأمر[١١٢]، والانكى من ذلك كله، ان الاقطاعات والرزق في عهد هذا النائب لا تعطى إلا للنساء أو الخدم[١١٣].

واشارت المصادر التاريخية أيضاً، إلى النفوذ الذي تمتعت به خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان[١١٤] (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م)، إذ وصفها ابن تغري بردي بأنها "اعظم نساء عصرها خيراً، وديناً وبراً، وجمالاً وكرماً"[١١٥]، ووصفها كذلك ابن اياس بقوله " انها واسطة خير تشفع عند ابنها السلطان في اصحاب الجرائم فلا يرد لها شفاعة"[١١٦].

وقد ذكرت المصادر التاريخية ان السلطان الأشرف شعبان يحب والدته حباً شديداً وكثير البر بها، ولايصدر امراً إلا بعد مشورتها فضلاً عن عدم مخالفتها[١١٧]، فلما ماتت كثر عليها الاسف والحزن من الناس[١١٨]، وكان لها استداراً[١١٩] خاص بها، وهو علي بن أحمد الطبيرسي (المتوفى سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) [١٢٠]، وقد بلغت مكانتها عند ولدها السلطان الأشرف شعبان، انه كان يكتب اليها "ضاعف الله تعالى جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبرى المعظمة المحجبة الخاتون جلال النساء في العالمين سيدة الخواتين جميلة المحجبات جليلة المصونات والدة الملوك والسلاطين"[١٢١]، وعندما تزوج الجاي اليوسفي[١٢٢] أم السلطان الأشرف شعبان، عين في أول سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م بوظيفة امير سلاح[١٢٣] اتابك العساكر بالديار المصرية، واخلع عليه البيمارستان المنصوري[١٢٤] كونه زوج ام السلطان[١٢٥]، وقد علق ابن تغري بردي على ذلك بقوله "فعند ذلك عظم قدر الجاي المذكور من كونه زوج أم السلطان وصار اتابك العساكر، وبهذا استطال الجاي في المملكة، فإنه قبل زواجه بأم السلطان خوند بركة كان من

جملة الأمراء المقدمين لاغير"[١٢٦]، بيد أن مكانته ومنزلته انحطت بعد وفاتها، بسبب خلافه مع السلطان بشأن تركتها[١٢٧].

وكان للجواري أثرٌ كبير في عهد السلطان الأشرف شعبان، فعندما سألته دنيا بنت الاقباعي المغنية سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧م، في إسقاط ضمان المغاني استجاب لها[١٢٨].

وقد تدخلت النساء في بلاد الشام أيضاً في الحياة السياسية، ولا سيما في أمر تولي نيابة السلطنة في بلاد الشام، وهو تطور مهم آنذاك ومثال ذلك ما قامت به زوجة بردبك الظاهري[١٢٩] (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) التي كان لها دور كبير في تولي زوجها نيابة السلطنة في بلاد الشام للمرة الثانية، وقد أشار ابن طولون إلى ذلك بقوله "انه تولى نيابة الشام مرة ثانية، بشفاعة زوجته"[١٣٠]، واستمر بها إلى أن توفي، وتولت زوجته أمر دفنه، وكانت نهايته برواق تربة بالقبيبات[١٣١]، واقامت بها مدة بعد خروجها من دار السعادة[١٣٢].

ومن النساء اللاتي لعبّن دوراً في الحياة السياسية في بلاد الشام كتجشب وكانت من الخواتين الكبار، فكان الأمير تنكز نائب الشام يبالغ في احترامها وتقديرها، وكانت تعلمه اخبار القوم ومستجداتهم وما يدور بينهم، وتجهز له كل سنة ملابس كاملة مزركشة بالذهب؛ لأن الأمير كما يتضح من المصادر التاريخية تعجبه هذه الكماليات ويلازم لبسها لما فيها من الظرافة وحسن الصناعة[١٣٣].

كما عظمت منزلة أحمد بن محمد الطولوني شهاب الدين الذي كان يعمل كبيراً للصناع في العمائر عند الملك الظاهر برقوق[١٣٤] (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م)؛ لأن الملك الظاهر تزوج من ابنته[١٣٥]، وجعله من الخاصكية[١٣٦]، وإمرة عشرة[١٣٧].

وكان لخوند شيرين أم الناصر فرج بن برقوق[١٣٨] (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٩-١٤٠٥م) التي توفيت سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، مكانة كبيرة لدى ابنها، وعندما اراد معاقبة الأمير تغري بردي[١٣٩]، وكان مسجوناً بسبب انضمامه إلى الأمير ايتمش[١٤٠] والأمير تنم[١٤١] وخروجهم على السلطان الناصر فرج، وكان لخوند شيرين آنذاك جاه عظيم[١٤٢]، فقد تمكنت هذه المرأة من الشفاعة له عند السلطان الناصر فرج، إذ أمر الأخير بإطلاق سراحه ونفيه إلى مدينة القدس[١٤٣].

والى جانب ذلك، كانت بعض النساء المملوكيات تخشى على ابنائها من الاقتتال فيما بينهم للاستحواذ على عرش السلطنة، ومثال ذلك ما قامت به خوند قنقباي أم المنصور عبدالعزيز[١٤٤] بن الظاهر برقوق من جهود في سبيل المحافظة على ولدها المنصور من بطش اخيه الناصر فرج، فقد ذكرت المصادر المتيسرة انه لما اختفى الأخير سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م اختار الأمراء المماليك أخاه الملك المنصور على عرش السلطنة، وقد اعترضت تلك السيدة على هذا الاختيار، وحجبت ولدها المنصور عن الأمراء المماليك؛ لأنها كانت تخشى عليه من اخيه الناصر فرج، بيد ان الأمراء المماليك أصروا على اختيارهم له، واخذوه منها بالحيلة، وكان صغيراً يعيش في كنفها، وبعد تبوأه لعرش السلطنة صارت خوند الكبرى، وسكنت قاعة العواميد؛ لأن ولدها لم يبلغ سن الرشد وليس له زوجة[١٤٥].

ولما عاد الناصر فرج للسلطنة، وأرسل المنصور عبدالعزيز اليها بالدور السلطانية، ثم تم نفيها مع ابنها إلى الإسكندرية التي مات فيها ابنها بظروف غامضة واتهم الناصر فرج بسمها[١٤٦].

ومن الخوندات اللاتي كان لهنّ تأثير في الحياة السياسية خوند سعادات[١٤٧] أم أحمد[١٤٨] ابن المؤيد شيخ الذي تولى السلطنة سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وكان عمره وقتذاك سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام، وقام الأمير ططر[١٤٩] بتدبير الأمور، وحاولت الخوندة الحفاظ على سلطنة ابنها بزواجها من الأمير ططر، ثم بعد ذلك خرج الأمير معها إلى بلاد الشام، بسبب عصيان نائب الشام، وبعد القضاء على أمراء الشام قام الأمير ططر بعزل ابنها السلطان أحمد بن المؤيد، وتولى السلطنة بدلاً عنه[١٥٠].

وكان لخوند جلبان[١٥١] زوجة الأشرف برسباي[١٥٢] (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) نفوذ كبير عند السلطان، إذ كان يأخذ برأيها ومشورتها، وكان مطيعاً لما تأمره به[١٥٣]، ومن اجلها بعث السلطان برسباي يطلب اخوتها واقاربها من بلاد الجركس، وانعم عليهم بالرواتب والاقطاعات والوظائف، وكانت من عظماء نساء المماليك، إذ هيأت الظروف لابنها ليكون امير مائة مقدم الف وهو مراهق، وقد ذكر ابن تغري بردي انها "من عظماء النساء ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه احسن تدبير"[١٥٤].

وكان لزواج الأمير خليل بن شاهين بأختها سبب في ارتفاع منزلته، إذ تولى محجوبية الإسكندرية ثم نيابتها[١٥٥].

وقد بلغت خوند زينب خاص زوجة الأشرف اينال[١٥٦] من المكانة والنفوذ حتى صارت تدبر أُمور المملكة من تولية وعزل، وكانت نافذة الكلمة في الدولة، ولم يكن السلطان الأشرف اينال يخالفها فيما تأمر به، وحظيت بمكانة مرموقة عنده، فلم يتزوج أو يتسرى بغيرها[١٥٧]، وكان لها أيضاً دور مهم في تولية ابنها المؤيد أحمد[١٥٨] بن اينال السلطنة سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م في اثناء مرض أبيه، ففي جمادى الأولى من هذه السنة اشرف السلطان الأشرف اينال على الموت، مما جعل الأمير بردبك[١٥٩] صهر السلطان يجتمع بخوند زوجة السلطان ليخبرها فساد الأحوال واضطراب الأمور، مما يتطلب من السلطان ان يعهد بأمور السلطنة إلى ولدها، فدخلت على السلطان وحدثته عن ذلك، فأمر بأحضار الخليفة والقضاة الأربعة وأرباب الدولة وشهد عليه الحاضرون بخلع نفسه من السلطة وتولية ولده[١٦٠]، كما كان لابنة السلطان الظاهر اينال زوجة برسباي[١٦١]، التي وصفها ابن طولون في قوله "بأنها غلبت امرها على زوجها وقهرته"[١٦٢]، إذ كان لها من القوة والنفوذ مما جعل زوجها يتفرد اغلب أوقاته في الاصطبل غربي دار السعادة وهي كالمطلقة اتقاءً لشرها[١٦٣].

ومن الشواهد الأخرى التي تدلل على النفوذ الذي بلغته النساء في الحياة السياسية، ان بعض الرجال وصلوا إلى مناصب الدولة عن طريقهن، فقد تولى حسين نجم الدين بن عبدالله السامري (ت ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م) منصب كاتب السر[١٦٤] بدمشق، وجمع بينها وبين نظر الجيش[١٦٥] بمساعدة صهره زوج بنت امرأته ازبك الدودار[١٦٦] إذ كان له دور فاعل في ذلك، من خلال تأثيرها على زوجها الذي أسهم في وصول حسين نجم الدين إلى ذلك المنصب[١٦٧].

والواقع أن النفوذ الواسع الذي تمتعت به النساء في عصر سلاطين المماليك كان سبباً في اثارة عدد من فقهاء هذا العصر ومنهم ابن تيمية الذي يرى أن دخول النساء في الحياة السياسية من المفاسد إذ يقول "اكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء"[١٦٨].

ويظهر دور النساء أيضاً في فض النزاع وحل المشكلات القائمة بين افراد الأسرة، ومثال ذلك ما حدث سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م عندما وثب فياض بن ناصر الدين بن دلغادر[١٦٩] على ابن عمه حمزة امير مرعش[١٧٠]، فأحتل مدينته، واستقر بها، بغير امر من السلطان، فتوجه

الأمير قرقماس نائب حلب فقبض على فياض المذكور وولاها لابن عمه حمزة بك بن دلغادر فبلغ ذلك ناصر الدين بك والد فياض، وهو يومئذ كان اميراً على الابلستين[١٧١] وقيصيرية[١٧٢]، فصعب عليه وجهز قرقماس الشعباني ، وارسل فياض إلى القاهرة فسجن بالقلعة، ولم يكن أمام ناصر الدين إلا أنْ يرسل زوجته خديجة والدة فياض إلى حلب لتشفع في امر ولدها، وجهز هدية معها، فضلاً عن مفاتيح قيصرية، ولما وصلت إلى مدينة حلب، استقبلت وقبلت هديتها وافرج عن ولدها وأعطي إليه نيابة مرعش، واستقر والده على حكم قيصرية، وكان ابراهيم بن قرمان صاحب قونية ببلاد الروم قد راسل السلطان ان يعطيه قيصرية على ان يحمل كل سنة عشرة الاف دينار، فأمر لقرماس نائب حلب ان يتجهز لأخذ قيصرية، ويسلمها لابن قرمان، ولكن وساطة الام أدت إلى بقاء ناصرالدين عليها[١٧٣].

وبلغت النساء من المكانة التي تدخل فيها السلطان للإصلاح بينهم وبين أزواجهن، كما حدث في سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م عندما ذهب زعيم الحرافيش[١٧٤] ابن شعبان وزوجته من مدينة دمشق إلى القاهرة، ليتوسط عند السلطان المملوكي الأشرف قايتباي[١٧٥] (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م) في حل الخلاف القائم بينه وبين زوجته، ولدى عودته إلى مدينة دمشق، استقبل من قبل الاوباش الذين كانوا يقرعون الطبول، ويصفقون ابتهاجاً بقدومه، وجرى الترحيب بزوجته بطريقة مماثلة من قبل مائتي إمرأة كن يرتدن عصابات صفراء، قائمات بالعمل الاحتفالي نفسه[١٧٦].

وانتشر نشاط الحرافيش بين النساء في دمشق، فقد ورد ان ابن شعبان سلطان الحرافيش، كان يسير في موكب خاص به، وأيضاً كانت زوجته صاحبة موكب نسائي خاص[١٧٧].

وكانت الأُم تشارك في المواكب السلطانية القادمة من المدن الشامية، كما حدث في سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٧٨م عندما دخل الوفد الحلبي إلى مدينة دمشق، وعلى رأسهم ابن نائب مدينة حلب، وبصحبته والدته في ابهة عظيمة، وفي اليوم التالي خرج الوفد الحلبي إلى قبة يلبغا ترافقهم في محفة حافلة يصحبهم مجموعة من الأمراء وكبار رجال الدولة[١٧٨].

وتدخلت بعض الأمهات في حل مشكلات أبنائهن مع السلطات العليا، ولم يقتصر ذلك على طبقة الناس العامة، بل كذلك أُمهات رجال الدولة، ومثال ذلك ما قامت به أم القاضي

الشافعي الولي الفرفوري سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م، حيث ذكرت المصادر انها سافرت إلى مصر لتشفع في ولدها المسجون في مدينة دمشق وقد نجحت في مسعاها[١٧٩].

وكان لخوند أصل باي أم الناصر محمد بن قايتباي[١٨٠] (٩٠١-٩٠٤هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٨م) دور في عهد ابنها، وقد اشار ابن اياس في حوادث سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م إلى ان خوند أصل باي أم الناصر محمد خافت على ولدها من خاله قانصوه[١٨١] وان المماليك قد التفوا عليه، فأحضرت المصحف العثماني بين يديها في قاعة العواميد، وحلفت عليه اخاها قانصوه وابنها الناصر محمد بوفاء كل منهما إلى صاحبه، ولم يفد من ذلك الايمان شيء[١٨٢].

وتدخلت خوند أصل باي في شؤون الحكم في سلطنة ابنها الناصر حتى ان الأمير كرتباي[١٨٣] كان يصرخ في مجلسه بالشام ويقول: انا من تحت حكم صبي وامرآة، ويعني الناصر وأُمه[١٨٤].

كما حاولت أصل باي منع ابنها من الزواج من مصر بأي الجركسية ارملة كرتباي، وفي هذا الصدد يشر ابن اياس إلى انه "وقع بين السلطان وأُمه بسبب زواج مصر باي ما لاخير فيه، وكانت عليه كعب الشؤم"[١٨٥].

وكان لجواري السلاطين والأمراء نفوذ ومكانة كبيرة أيضاً داخل بلاط المماليك، وكان لهن الكلمة المسموعة بفضل استمالتهن لقلوب السلاطين، وقدر لبعضهن أيضاً من اداء دور مهم في الحياة السياسية، فالجارية حدق بلغت مكانة لم تبلغها غيرها من الجواري في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وتحكمت بشؤون الحريم السلطاني وبكل ما يخص نسائه، وصار يقال لها الست حدق ، حتى انها قامت برفع الظلم عن التجار سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م فسمع السلطان لشفاعتها كونها مربيته[١٨٦].

وفي سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م في أثناء عهد السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون[١٨٧] (٧٤١-٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، طلب الأمير بشتاك[١٨٨] من السلطان ان يوليه نيابة الشام، وبعث إلى كل الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على ذلك، وفرق عليه معدداً من الجواري، بحيث لم يبق اميراً إلا وارسل له جارية، مما يدل على استيلاء الجواري على امور الدولة[١٨٩]، وكان أرباب الوظائف المختلفة يلجأون إلى الجواري ويحملون الهدايا

القيمة لهن حتى تستقر لهم الوظائف، والامر نفسه بالنسبة الى ارباب الرواتب سواء كانوا من المماليك أو غيرهم(١٩٠).

ثانياً: دور نساء المماليك وجواريهم في احاكة المؤامرات السياسية

شهد التاريخ السياسي للمماليك بحقبتيه وفي احيان عدة مشاركة بعض النساء المملوكيات أو الجواري في العديد من المؤامرات السياسية سواءً للتخلص من أزواجهن أو من اجل وصول احد ابنائهن لعرش السلطنة المملوكية أو تحريض ازواجهن على قتل بعض الأمراء المماليك أو التنكيل بأحدهم لدوافع مختلفة، وهناك نماذج نسائية من هؤلاء النسوة ارتبطت اسمائهن بهذه المؤامرات، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى ان ضلوع النساء بالمؤامرات السياسية بدأ منذ بواكير نشأة الدولة المملوكية، فشجرة الدّر- وكما اسلفنا سابقاً- دبرت مؤامرة لقتل زوجها السلطان عزالدين ايبك بدافع الغيرة(١٩١)، وقد ارتبط اسم هذه السيدة أيضاً في مؤامرة اغتيال احد أمراء المماليك البحرية وهو فارس الدين اقطاي بعد قدومه من الصعيد مع جماعة من المماليك البحرية، إذ اتهمت هذا الأمير بعدم الانقياد لسلطة زوجها، واتخاذ قرارات من دون الرجوع إليه ولا سيمّا زواجه من ابنة صاحب حماة، واصراره على السكن في القلعه على الرغم من معارضة زوجها عزالدين ايبك لذلك(١٩٢)، ولم تكتف بذلك بل حرضت زوجها على قتله بذريعة ان "هذا نحس"(١٩٣)، وقد استجاب عزالدين ايبك لها وقام بقتله في قلعة المنصورة، ورمي رأسه من اعلى القلعة إلى مماليكه سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م(١٩٤).

وقامت والدة المنصور علي بن ايبك الذي تولى السلطنة بعد مقتل والده، باجبار الأمراء المعزية على القسم له ومبايعته له وبايعوه، وأصبح قطز اتابكاً له(١٩٥)، فقامت والدته بتدبير امور الحكم وبعد مقتل المعز ايبك قامت بأغتيال شجرة الدّر انتقاماً منها؛ لأن الأخيرة كانت تمنع ايبك من الاتصال بزوجته أم المنصور علي، والزمته بطلاقها(١٩٦)، وبعد مقتل ايبك امتنعت شجرة الدّر والمماليك في دار السلطنة، وطلب المماليك المعزية اقتحام الدار عليهم لقتلها انتقاماً للسلطان المعز ايبك، إلا ان المماليك الصالحية حالوا بينهم وبين شجرة الدّر بوصفها زوجة استاذهم الصالح ايوب، ثم اخرجت إلى البرج الأحمر بالقلعة وحبست به، وقبض على الخدام الذين كانوا معها، واقتسم الأمراء جواريها، واخذت والدة المنصور تحرض المماليك على الأخذ بثأر استاذهم المعز وقتل شجرة الدّر(١٩٧).

ومهما يكن من الأمر، فقد قام المماليك بأحضار شجرة الدّر إلى والدة المنصور علي بن ايبك، فأخذت تضربها هي وجواريها وخدامها إلى ان ماتت، ثم القيت من اعلى سور القلعة إلى الخندق وهي عريانة، فحملت ودفنت في تربتها[١٩٨] المجاور لمشهد نفيسة[١٩٩].

والواقع، فإن الانتقام بهذه الطريقة القاسية من قبل والدة أم المنصور من غريمتها شجرة الدّر، يفصح عن الغل والحقد الذي ملء قلب هذه السيدة من تصرفات شجرة الدّر في أثناء حكم زوجهما عز الدين أيبك، إذ كانت الأخيرة وكما يتضح من المصادر التاريخية المتيسرة تكن لها كرهاً وحقداً معلناً من خلال منع عز الدين أيبك من الدخول اليها، فضلاً عن ذلك، فإن والدة المنصور أخذت على شجرة الدّر لما ايقنت الأخيرة انها مقتولة لا محالة بسحق الجواهر النفسية في الهاون لئلا تقع في يد ابنها المنصور [٢٠٠].

ولم يكن الدور الذي أدته والدة السلطان المنصور علي في المؤامرات السياسية مقتصراً على التحريض واغتيال شجرة الدّر فحسب، بل حرضت أيضاً على قتل الوزير شرف الدين ابن صاعد الفائزي[٢٠١]، الذي تولى الوزارة لابنها المنصور علي مدة قليلة ثم قتل سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، ويبدو أن والدة المنصور كانت تدرك ان الوزير الفايزي لم يكن راضياً عن حكم ابنها فأمرت بالقبض عليه وسجنه[٢٠٢]، وقد اتهمته أيضاً بالتعاون مع زوجها عز الدين أيبك في إخفاء جواري عنده[٢٠٣]، وكذلك عزمه على السير إلى الملك الناصر صاحب الشام ليستدعيه لمصر ويساعده على اخذ المملكة[٢٠٤]، وعلى الرغم من ان الوزير وعد بدفع المال مقابل خروجه من السجن، حيث دخل ذات يوم قاضي القضاة بهاء الدين السنجاري عليه، فسأله اطلاق سراحه مقابل ان يدفع كل يوم الف دينار ولمدة سنة، وعلى الرغم من قبوله بدفع ما طلب منه من أموال إلا ان والدة السلطان المنصور امتنعت من اطلاق سراحه ولم ترض إلا بقتله[٢٠٥].

ومما يبدو، فإن والدة المنصور استمرت على سياستها في التنكيل بمن تراه انه يشكل خطراً عليها أو ابنها حتى تمكن المظفر قطز من اعتقالها مع ولدها المنصور وولدها الاخر قان، وقام بنفيهم في عهد الظاهر بيبرس إلى القسطنطينية[٢٠٦].

وأقدمت زوجة الظاهر بيبرس على قتل الملك المغيث صاحب الكرك بذريعة كره الأخير لها، إذ استغلت خروج زوجها الظاهر من الكرك وبقائها فيه[٢٠٧]، واصرت على احضار الملك المغيث سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م وامرت جواريها بقتله بالقباقيب[٢٠٨].

وقد عملت النساء المملوكيات أيضاً على قتل كل من يحاول إبعاد ابنائهن عن العرش أو لمجرد ما يصل إلى أسماعهن من نية بعض الأمراء المماليك للاستحواذ على منصب السلطنة، فقد ذكر ابن الفرات "ان الصاحب بن حنا قال لأم الملك السعيد ان الأمير بدر الدين بيلبكال خازندار يطلب الأمر لنفسه فصدقته لعظمته"[٢٠٩]، ثم قامت بعد ذلك بدس السم للامير بدر الدين بيلبك سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، بعد ان توجه اليها ليعزيها بالسلطان بيبرس ولتهنئتها بسلطنة ولدها[٢١٠]، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الفضائل "دخل الأمير إلى الستارة عند والدة الملك السعيد على ان يعزيها بالسلطان ويهنئها بالملك السعيد، فشكرت فعله ودعت له واخرجت له هناب سكر وليمون، وحلفت عليه ان يشرب بعدها وأوهمته انها شربت منه، فشرب جرعتين لا غير وفي الثالثة من كثرة ما لجوا عليه فكانت القاضية فيه فتوجه إلى داره وتوعك وحصل له تقطع في الامعاء وادعى انه قولنج وكان طبيبه عماد الدين ابن النابلسي دفعوا إليه ثلاثة الالاف دينار وقالوا خذ هذا وساعدنا في هلاكه"[٢١١].

ولم يقتصر الأمر على نساء المماليك، إذ ارتبطت جواري السلاطين أيضاً بالعديد من المؤامرات السياسية، وقد استخدمت بعضهن كعيون لبعض كبار الأمراء لاغراض التجسس عليهم والوقوف على ما يحاك في القصر السلطاني من مؤامرات ضدهم، ورصد تحركاتهم، ومثال ذلك ما ورد في حوادث سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م في ايام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون[٢١٢] (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م)، إذ عندما بلغه ان يلبغا الخاصكي[٢١٣] يريد قتل السلطان، وانه سيدخل في خدمة السلطان وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه، فاستدعاه السلطان، فأخلى سبيله، وخلع عليه، فغضب الأمير يلبغا واشتد حنقه على السلطان، واظهر العصيان، والبس مماليكه آلة الحرب، فلما علم السلطان بذلك، قرر ان يخرج إليه في طائفة من مماليكه ليكسبه على غرة ويأخذه من مخيمه، إلا ان الخبر وصل إلى الأمير يلبغا من تلك الجارية فكانت سبباً في زوال ملك السلطان الناصر حسن[٢١٤].

وذكر المقريزي أيضاً، ان جواري القصر أخبرت الأمير أرغون العلائي[٢١٥] والأمير الحجازي[٢١٦] بأن السلطان الكامل شعبان يتحين الفرصة للقضاء عليهما[٢١٧].

وكان للنساء من غير الطبقة الحاكمة أيضاً اثر غير مباشر في قتل بعض السلاطين، عن طريق الوشاية، فقد وشت آمنة المشتولي بالسلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، وكانت سبباً في القبض عليه، وكان السلطان قد اقام في منزلها اياماً ولم يشعر به احد، بيد انها عندما رأت اضطراب الأوضاع في القاهرة، وكثرة مداهمة المماليك للبيوت والحارات بحثاً عنه، واتهامها بإخفائه في بيتها، ذهبت إلى الأمير اينبك البدري، لتخبره عن السلطان في بيتها، مقابل الحصول منه على الأمان، ثم ذهبت وبصحبتها مائة مملوك لتدلهم على مكان اختباء السلطان[٢١٨]، وكانت تسكن بحارة المحمودية من القاهرة، فركب الأمير قرطاي في عدة وافرة، ووصلوا بيت آمنة، ووجدوا السلطان فيه وقبضوا عليه[٢١٩].

وكان لتعدد الزوجات في العصر المملوكي أثرٌ كبير في انتشار المؤامرات بين زوجات السلاطين وجواريه ايضاً، فأخذت كل واحدة منهن تكيد للأخرى، للفوز بمحبة السلطان والإيقاع بالمنافسة في امتلاك قلب السلطان، وذلك عن طريق السحر فإذا ماتت أو مرضت احدى زوجات السلاطين اتهمت الاخرى بسحرها، فخوند مغل بنت القاضي نصر الدين البارزي زوجة الظاهر جقمق طلقها السلطان وانزلها من القلعة لاتهامها بعمل سحر لمحظيته سورباي الجركسية، مما ادى إلى موتها[٢٢٠]، ولما مرضت خوند شيرين والدة السلطان الناصر فرج، ولزمت الفراش، اتهم السلطان الناصر فرج زوجات أبيه بسحرها حسداً وبغضاً، واتهم احدى الجواري مع أحد الكتّاب الناصرى بسحرها، فضربوا ولم يعترفوا فحبسوا حتى ماتوا[٢٢١].

وذكرت المصادر أيضاً، انه لما مرض الصالح إسماعيل اتهمت والدته أم السلطان الأشرف كجك[٢٢٢] (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، وضربت عدة من جواريها ليعترفن عليها[٢٢٣].

وكان لعاطفة الغيرة اثر في اقدام بعض الجواري ولا سيّما المتزوجة من سلطان متزوج من امرأة اخرى من اصول حرة، إذ تقوم تلك الجارية نتيجة لشعورها بالاحباط أو بدافع الحقد من سيدتها الحرة بأفعال انتقامية وقاسية تشفياً من تلك السيدة، ومثال ذلك ما ورد في حوادث سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، عندما اقدمت جارية برمي ابن سيدها من الطاق إلى الخليج الناصري،

فغرق ومات وكان عمره نحو ست سنين، فدفع بها السلطان إلى قاضي القضاة وحكم عليها بالغرق في الخليج[٢٢٤].

وفي أحيان عدة تلجأ بعض النساء إلى الانتقام من قتلة ابنائهن، ومثال ذلك عندما قرر الأمراء المماليك سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٤١م خلع السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة، ونفيه إلى قوص، وكان ذلك بتدبير من مدير امور السلطنة الأمير قوصون[٢٢٥]، وقد لجأ السلطان إلى امه لطلب المشورة منها للاذعان لهذا القرار أو رفضه، ولم يكن امام أمه سوى الاذعان لرغبة الأمير قوصون، وقام الأخير بإخراجه مع اخوته ونفيهم إلى قوص بعد تعنيفهم، ووضع الحديد في رقابهم والخشب في ايديهم[٢٢٦]، وذكرت المصادر التاريخية ان ذلك كان يوماً مشهوداً تألم الناس فيه كثيراً على ابناء الناصر محمد بن قلاوون[٢٢٧]، وقد عهد إلى الأمير جركتمر[٢٢٨] بن بهادر بأصطحابهم إلى قوص، وقد اختلف في وفاة السلطان أبيبكر، فقد قيل ان هتوعك وكان طفلاً صغيراً لم يتجاوز الثمان سنوات، وتوفي على اثر ذلك[٢٢٩]، وقيل ان جركتمر بن بهادر قتله بمشورة من قوصون، ويقال أيضاً ان السلطان أبا بكر قام في السجن اياماً، ثم أرسل قوصون إلى متولي قوص ليدبر مقتله وهو في السجن، فقتله خنقاً، ثم قطع رأسه وأرسله إلى قوصون، وكتم وفاته عن الناس[٢٣٠]، ولم يكن امام والدة السلطان أبي بكر سوى الانتقام لقتل ابنها سواءً من جركتمر بن بهادر أو من متولي قوص، وتشير المصادر الى ان الأمير جركتمر بن بهادر قبض عليه قبل السلطان احمد الذي تولى الحكم سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، ثم دخلت تلك السيدة إلى بيت بهادر ومعها مائة خادم ومائة جارية ونهبت ما في بيته، والقته إلى من تبعها من العامة، ثم طلبت من الأمراء الانتقام من قتلته أو من تأمروا عليه وتشير المصادر أيضاً إلى ان الأمير قبض أيضاً على والي قوص وامر بتسميره[٢٣١].

وكان للنساء أيضاً دور غير مباشر في المؤامرات السياسية للقضاء على بعض الشخصيات المهمة في العصر المملوكي، ومثال ذلك ما قامت به بنت صرق، وكانت طليقة السلطان الناصر فرج بن برقوق، فقد ذكرت المصادر التاريخية ان هذه المرأة كانت سبباً مباشراً في اغتيال احد الأمراء المماليك في ذلك الوقت، وقد امر السلطان الناصر فرج بن برقوق في سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م بقتل هذه المرأة ومعها الأمير شهاب الدين احمد بن محمد الطبلاوي[٢٣٢]

بعد ان تناهى إلى سمعه ان هذه المرأة تأتي إلى الأمير شهاب الدين في منزله بغرض الفاحشة[٢٣٣].

وذكر المقريزي أيضاً، ان السلطان فرج بن برقوق لما تيقن من انحراف أخلاقها، ارسل في طلبها وكانت تظن انه يريد ارجاعها إلى عصمته، فخرج السلطان وجلس على مصطبة، واقبلت هي لتقبيل يده فنهرها ونهض وقطع أصابعها ثم ضربها ضربة ثانية حتى دخلت الحمام ودخل وراءها وقتلها في صحن الحمام، وقطع رأسها وغطاها بفوطة، وطلب الأمير الطبلاوي وكشف له عن الفوطة ووضعها بين يديه، ومن ثم قتله، ولفَّ جثتيهما في لحاف واحدة، وامر بدفنهما في قبر واحد[٢٣٤].

ومن النساء اللاتي كان لهن دور في المؤامرات السياسية خوند سعادات ارملة المؤيد شيخ المحمودي، إذ كان الاخير متزوجاً من خوند سعادات بنت صرغتمش، وانجبت له ابنه أحمد، ثم تزوجها الظاهر ططر، وبعد وفاة المؤيد شيخ تولى السلطنة الظاهر ططر سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) الذي اعلن الوصاية على الطفل احمد الصغير بن المؤيد شيخ الذي لم يبلغ من العمر سوى سنة واحدة وثمانية شهور، ثم قام بالقبض على الأمير الطنبغا الذي كان وصياً على ابن المؤيد شيخ لينفرد بالسلطنة من دون مسوغ شرعي، ثم قام بالزواج من أرملة السلطان المؤيد شيخ، واعلن وصايته على ابنها الصغير[٢٣٥]، وبعد ان انفرد الظاهر ططر بالسلطنة طلق زوجته أرملة المؤيد شيخ واعتقل ابنها احمد بالإسكندرية، إلا أن سلطنته لم تدم طويلاً، إذ قيل ان أرملة المؤيد شيخ دست له السم في أثناء مرضه، انتقاماً لما فعله بولدها الصغير وتنكره لهما[٢٣٦].

ومما تقدم، فإن العصر المملوكي بحقبتيه قد شهد انفتاحاً على شريحة النساء لم يسبق لأية دولة إسلامية في العصر الإسلامي الوسيط انتهاجه، والأنكى من كل ذلك أن الدولة المملوكية قد سمحت لنساء المماليك في دخول المعترك السياسي، وتقلد المناصب العليا؛ فلأول مرة تتبوأ أمرة في الدولة العربية الإسلامية عبر عصورها المتعددة عرش السلطنة في إحدى أهم مناطق هذه الدولة وهي مصر، ممّا أشر تطوراً مذهلاً وانجازاً سياسياً نوعياً للدولة المملوكية على الرغم من تحفظ الخلافة العباسية والفقهاء وبعض شرائح المجتمع المصري

بسبب النظرة الضيقة للمرأة من جهة، والأعراف والتقاليد الموروثة التي تسمح فقط للذكور تبوأ المناصب السياسية العليا في الحكم والإدارة من جهة أخرى.

وعلى الرغم من قصر المدة التي تبوأت فيها إحدى أهم نساء العصر الإسلامي الوسيط وهي شجرة الدّر منصب السلطنة في مصر، الا أنها قد أفصحت عن مكنوناتها القيادية في الحكم والإدارة.

ولم يقتصر العصر المملوكي على هذا الأنموذج السياسي النسائي الأكثر تأثيراً في الاحداث السياسية لعقد من الزمان، فقد شهد هذا العصر أيضاً مشاركة نسائية متميزة في الحكم والإدارة، فلا يخلو عهد سلطان في الدولة المملوكية من وجود نماذج نسائية أخرى لهن تأثير سياسي ملفت للنظر ولو أقل مما تمتعت به شجرة الدَّر، وقد أظهرت هذه الدراسة العشرات من نساء هذا العصر ممن كان لهّن نفوذ سياسي، وكان لهّن تأثير واضح في مجريات الاحداث السياسية للدولة المملوكية سواء في مصر وبلاد الشام.

هوامش البحث ومصادره

(١) ابن تغرى بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (د.ت)، ج٦، ص٣٧٣.

(٢) اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م، ج٥، ص١٩٧؛ ابن كثير، عماد الدين بن إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار ابن كثير، بيروت، (د.ت)، ج١٣، ص٢١٢؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٦م): العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن سيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج٣، ص٣٧٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩٩؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن ايدمر (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م): الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور واحمد السيد دراج، دار احياء التراث الإسلامي، السعودية، ١٩٨٢م، ص٢٥١.

(٤) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١٦، ص٧٠؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢٩، ص٢١٨؛ ابن اياس، محمد بن أحمد (ت ٩٢٩هـ/ ١٥٤٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٥م: ج١، ق١، ص٢٧٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج١٤، ص٧٧٧.

(٥) سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، د.م، (د.ت)، ج٢٢، ص٤٠٩؛ المقريزي ، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص٤٤٠؛ السيوطي: جلال الدين بن عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص٣٥؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧٨.

(٦) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت)، ج٣، ص١٨٠؛ النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص٢١٦.

(٧) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٥٨؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٨.

(٨) ابن العبري: أبو الفرج غريغوريوس يوحنا (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٥٩؛ أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٨٠؛ ابن الوردي، عمر بن المظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص١٧٦؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٤.

(٩) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٥٩؛ ابن الفوطي، أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢١م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصدير مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٥١م ص١٩١؛ أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٢٨٥.

(١٠) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٥٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٥؛ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام, دار النهضة العربية, بيروت, ١٩٨٦م,، ص١٠٩.

(١١) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٥٧.

(١٢) الكتبي , محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات , تحقيق احسان عباس , دار صادر , بيروت , ١٩٧٤م، ج١، ص٢٦٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٥٧.

(١٣) الكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص٤٦٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٧٧٧؛ السيد الباز العريني: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص٤٦.

(١٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤١٧؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٢؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص١٩٢-١٩٣؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص٤٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٦٤.

(١٥) يحيى وهيب الجبوري: النساء الحاكمات من الجواري والملكات، دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠١١م، ص١٢٠.

(١٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٧٧٧.

(١٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٤؛ ابن سباط، حمزة بن أحمد (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م): تاريخ ابن ساباط، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بروس برس، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٣٥١.

(١٨) السلوك: ج١، ص١١٨.

(١٩) بدائع الزهور: ج١، ق١، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٢٠) قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك ، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص٢٣.

(٢١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٠؛ فاطمة المرنيسي: السلطانات المنسيات، ترجمة عبدالهادي عباس وجميل معلى، دار الحصاد، سوريا، ١٩٩٤م، ص١٥٣.

(٢٢) السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٣٦؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧٨.

(٢٣) ابن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م وتوفي سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م، للمزيد: ينظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص٣٥٠.

(٢٤) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٦٣.

(٢٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٤.

(٢٦) ترجمة إبراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٧٣م، ص٥٥.

(٢٧) مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ج١، ص٣١٠.

(٢٨) النساء الحاكمات في التاريخ، ص٥٦.

(٢٩) الدوداري ، أبو بكر عبدالله (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق اورلخهارمان، قسم الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ج٨، ص١٣

(٣٠) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٥٦؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٦؛ الرمال، ابن زنبل (ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م): اخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليمان العثماني، تحقيق عبدالمنعم ماجد وعبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٦٧

(٣١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج١، ص١٦٢؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٢٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٩٣؛ وفاء محمد علي: الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٦٠.

(٣٢) اليافعي، عبدالله بن سعد المكي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلامي، بيروت، ١٩٧٠م ، ج٤، ص١٠٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٨؛ علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٤.

(٣٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص١٣٣؛ العيني، بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق أحمد محمد امين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ج١، ص١٤٠-١٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٨.

(٣٤) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٩٣؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٥٧؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٩٣.

(٣٥) النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٩.

(٣٦) السلوك، ج١، ص٥٠٧.

(٣٧) الجوهر الثمين، ص٢٦٣.

(٣٨) فتح الدين عمر بن أبي بكر بن الملك الكامل بن الملك العادل، ولد سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م أعتقل بعد موت عمه الصالح وحبس بالكرك، فأخرجه المعظم وعينه والياً على الكرك ، وكان كريماً قتل بأمر الظاهر بيبرس سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م، للمزيد: ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبدالحي أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م ، ج٧، ص٥٣٧.

(٣٩) محمد عدنان البخيت: مملكة الترك في العهد المملوكي، المعهد الدبلوماسي الأردني، عمان، ١٩٧٦م، ص٩٣.

(٤٠) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٢١٦؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس ريتشاردز، مؤسسة حبيب ورغام وأولاده، بيروت، ١٩٨٠م، ص٨٠؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠٩؛ وذكر ابن الوردي أيضاً ان الملك المغيث قتل بسبب تعرضه لامرأة الظاهر بيبرس كرهاً لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم إلى الناصر يوسف وهرب الظاهر وبقاء امرأته في الكرك، ينظر: محمد عدنان البخيت: مملكة الترك، ص٩٥.

(٤١) لفظ فارسي، وعرفته كذلك اللغة التركية، واصله "خذاوند" ومعناه السيد الأمير يخاطب به الذكور والإناث، وقد غلب استعماله في العالم الإسلامي كلقب بمعنى السيدة، للمزيد: ينظر: السيد آدي شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ط٢، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٥٨؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص٧٠.

(٤٢) أبو المعالي ناصر الدين بركة خان الملك السعيد بن الظاهر بيبرس، ولد سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م في القاهرة، تولى السلطنة بعد وفاة والده، توفي سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م، للمزيد ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٩٧.

(٤٣) بدرالدين بيلبك بن عبدالله الظاهري الخازندار تولى نيابة السلطنة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م في عهد الظاهر بيبرس، وكان مقدماً للجيوش، توفي سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٤م، للمزيد: ينظر: ابن تغرى بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد امين وسعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (د.ت)، ج٣، ص٥١٢-٥١٤.

(٤٤) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر ، ج٤ ، ص١١؛ بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٦٣؛ العيني: عقد الجمان ، ج٢ ، ص١٨٦ ؛ المقريزي: السلوك ، ج٢ ، ص١١٧.

(٤٥) النويري: نهاية الارب، ج٣٠، ص٢٣٨-٢٣٩؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ص١٠٩؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٨٦.

(٤٦) الدوداري: كنز الدرر، ج٨، ص٢٢٥-٢٢٨؛ مفضل بن أبي الفضائل (ت ق ٨هـ/ ١٤م): النهج السديد والدرر الغريد في تاريخ ما بعد ابن العميد، نشر بلوشيه، باريس، ١٩١٩م، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص٣٣٨؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٣٤.

(٤٧) الملك العادل بدرالدين سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس، سلطن بعد خلع اخيه الملك السعيد، فلم تطل مدته، وخلع بعد ثلاثة اشهر، واستمر ملازماً لداره إلى ان نفاه الأشرف خليل بن قلاوون إلى اسطنبول، توفى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص١٣-١٤؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٧١٩.

(٤٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٨٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠٦؛ حمدي عبدالمنعم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، مصر، ٢٠٠٠م، ص١٨٩.

(٤٩) تربة من أعمال البحيرة، كانت من أعمال الإسكندرية، تقع في طريق القاهرة، وهي الان زاوية صقر التابع لمركز أبي المطامير بمحافظة البحيرة، وكان السلطان الأشرف خليل قد نزل تروجة لصيد الاسماك. للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت ، ج٢، ص٢٨؛ ابن الجيعان، شرف الدين يحيى علم الدين شاكر (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): التحفة السنية في اسماء البلاد المصرية،الطبعة الاهلية ، القاهرة ، ١٨٩٨م، ص١٢٤.

(٥٠) زين الدين كتبغا بن عبدالله المنصوري اصله مغولي من سبي وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م وأصبح من مماليك المنصور قلاوون وتولى نيابة السلطنة بعد قتل الأشرف خليل وقام بعزل الناصر محمد من السلطنة وتولاها هو وتلقب بالعادل كتبغا حتى خلعه نائب السلطنة حسام الدين لاجين سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م وحبسه حتى قتل لاجين وعندما عاد الناصر محمد للسلطنة ولاه نيابة حماة حتى وفاته سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص١١٥-١١٩.

(٥١) الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخي المعروف بالسلعوس، تولى الوزارة في عهد الأشرف خليل، وجرد له السلطان المماليك السلطانية في خدمته، توفي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، للمزيد: ينظر: النويري: نهاية الارب، ج٣١، ص١٩٠-١٩١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٧، ص١٨٩.

(٥٢) ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد امين وسعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب، مصر، ١٩٧٦م، ج١، ص١٧٣.

(٥٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٥١.

(٥٤) أواسلون بنت سكناي بن قراجين بن جنعان نوين، مغولية الجنس ورد ابوها إلى الديار المصرية سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م في عهد الظاهر بيبرس صحبة بيجار الرومي، وقد تزوجها المنصور قلاوون سنة

٦٨١هـ/ ١٢٨٢م بولاية عمها قرمشي بعد موت ابيها، عاشت إلى ان ادركت سلطنة ولدها الأولى والثانية، للمزيد: ينظر: بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٠٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دار المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٧٢م ، ج١، ص٣٨٥؛ علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص١٦٠.

(٥٥) ولد سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، تولى السلطنة ثلاث مرات السلطنة الأولى (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م)، والثانية (٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٨م)، والثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣١٠-١٣٤١م)، للمزيد: ينظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص٣٥.

(٥٦) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق ونشر زيتر بلوشيه ، لندن ، ١٩١٩م، ص٣٠.

(٥٧) أبو سعيد المنصوري، من أمراء الجند في مصر، ولد في آمد، كان من مماليك جاول احد أمراء الظاهر بيبرس واخرج في ايام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر في ايام العادل كتبغا، تولى نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والشام، قتل سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص٨٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٥٨) علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص٦٧.

(٥٩) باب الغرب يطل على ميدان الرميلة. للمزيد: ينظر: عبدالرحمن زكي: قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٥١.

(٦٠) ابن الجزري، محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م): تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من ابنائه، تحقيق عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص١٩٨؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٨٢؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٣٤.

(٦١) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٦٥.

(٦٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٤٥-٤٦.

(٦٣) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٧١.

(٦٤) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٩٦؛ محمد عدنان البخيت: مملكة الكرك، ص٨٥.

(٦٥) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٢.

(٦٦) ابن عبدالله المنصوري، جركسي الأصل، أصبح نائباً في دمشق، ثم قبض عليه السلطان الأشرف خليل، ثم اطلقه، واستمر نائباً حتى أختير سلطاناً بعد خلع السلطان كتبغا، وذلك سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، واستمر سلطاناً حتى قتل سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م، للمزيد: ينظر: ابن تغرى بردى، الدليل الشافي على

المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م، ج٢، ص٥٦٦؛ القرماني، أحمد بن يوسف (ت٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م): اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٦٧) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٥٠-٤٥١.

(٦٨) الدوداري : كنز الدرر، ج٩، ص٢٠٩ .

(٦٩) أم انوك زوجة الناصر محمد بن قلاوون، اشتراها الأمير تنكز بتسعين الف درهم، لان سيدها كان شغوفاً بها، وبلغ خبرها الناصر، فأرسل إلى تنكز بطلبها فبذل جهده حتى اشتراها للناصر، فحظيت عنده، ولدت له انوك سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وكانت معظمه في ايامه حتى توفيت سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٨٣.

(٧٠) ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وامه خوند طغاي، ولد سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) وهو اعز أولاد الناصر، توفي سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٩٨؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص١٠٨-١٠٩.

(٧١) ابن عبدالله الحسامي، ولي نيابة دمشق ثمانية وعشرين سنة، وهو الذي عمرّها بعد ان هدمها التتار، كان رجلاً ديناً عاقلاً، وقد استمر نائباً لدمشق حتى غضب عليه السلطان محمد بن قلاوون وحبسه بالإسكندرية، قتل سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، للمزيد: ينظر: ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص٣٨-٤١.

(٧٢) المقريزي: الخطط. ج٤، ص٣٠٠.

(٧٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٠٠.

(٧٤) اعلى مراتب الأمراء في العصر المملوكي، في خدمة صاحبها مائة مملوك، ومقدم الف جندي من جنود الحلقة التابعين للأمراء الإقطاعيين في وقت الحرب، للمزيد: ينظر: ابن فضل الله العمري، أحمد ابن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٧.

(٧٥) يلي صاحبها امير المائة مقدم الف من حيث الرتبة، وسمي بأمير الطبلناه لاحقية صاحبه في دق الطبول على ابوابه، ويطلق عليه امير الأربعين لأنه يكون في خدمته اربعون مملوكاً، للمزيد: ينظر: ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٧٤؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢٣١.

(٧٦) كلمة فارسية بمعنى لون أو شعار، وقد استخدم الرنك كعلامة أو شعار يتخذها الشخص لنفسه للدلالة على وظيفته في معظم الاحيان، وهو عبارة عن رسم معين حيوان أو طائر، وصاحب الرنك

يضعه على بيته والأماكن المنسوبة إليه وكل ما له علاقة بصاحب الرنك من قماش وادوات واسلحة وغيرها، للمزيد: ينظر: أحمد عبدالرزاق: الرنوك على عصر السلاطين المماليك، جامعة عين شمس، مصر، (د.ت)، ص٦٧-٦٨.

(٧٧) من مماليك المظفر بيبرس، رباه صغيراً وعرف عنده بمملوك قزمان، انعم عليه بإمرة سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، بعد عودة السلطان الناصر محمد، وكان حظياً عنده، وظل يتمتع بمكانة كبيرة حتى اختلف عليه بعد اشاعة وصلته، وقتله سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، للمزيد: ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٢٢-١٢٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٧٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٩٨؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص١٠٩.

(٧٩) الوافي بالوفيات ، ج٩، ص٢٤٥.

(٨٠) ابن ناظر الجيش، تقي الدين عبدالرحمن (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م): تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق ردولف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (د.ت)، ص١٣٦.

(٨١) الحنفي، عبدالباسط بن خليل (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م): نيل الأمل بذيل الأمل، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٧٣.

(٨٢) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٤، ص٩١.

(٨٣) عبدالوهاب بن فضل الله القاضي شرف الدين المعروف بالنشو، قبطي الأصل، ناظر الخاص في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وقد تمكن من السلطان فقربه، وكثر اعداءهُ وقبضوا عليه سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٨م، وتوفي في السنة نفسها، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٣١-١٤٣.

(٨٤) وظيفة استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلادون، وكان متوليها مختصاً بمال السلطان والخزائن السلطانية ، للمزيد: ينظر : القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٣٠.

(٨٥) البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٩٧-٩٨.

(٨٦) اليوسفي، عماد الدين موسى (ت٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م): نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٥١-٣٥٢.

(٨٧) من اشهر البرك في مصر وهي في ظاهر مدينة الفسطاط فيما بين جبل المقطم والنيل، وكانت من الموات فأستنبتها مَرة بن شريك العنبسي أمير مصر، وقد أصبحت في العصر المملوكي ميدان رهان وجنان نخل وبستان، ومنازل كبرى، ومراعي ماشية، ومرتع خيل وساحل بحر، للمزيد: ينظر: المقريزي:

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تعليق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م ، ج٣، ص٢٦٧-٢٧٠.

(٨٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤١٨.

(٨٩) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٢٧٩.

(٩٠) الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢١.

(٩١) شعبان ابن السلطان محمد بن قلاوون الملقب بالكامل، تولى السلطنة بمصر سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م بعد أخيه الملك الصالح إسماعيل، ويبدو من المصادر التاريخية أنه كان طائشاً متهوراً، محباً للهو، خلعه الأمراء ووضعوا أخاه المظفر حاجي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٩٢) جمع طواشية، وهم المماليك الذين استخدموا في الطباق المملوكية، وكانوا بمثابة حرس للحريم السلطاني، تمتعوا بحرمة واسعة وكلمة نافذة، وشيخهم من أعيان الناس، للمزيد: ينظر: المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٢٧.

(٩٣) ابن عبدالله الناصري، من أعيان الخدام في عهد الناصر محمد بن قلاوون، توفي سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٩، ص١١١.

(٩٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٢٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٢.

(٩٥) كان اميراً على دمشق في بادئ الامر، خدم الملك الناصر عندما كان بالكرك، فأعطاه نتيجة لذلك حماة، فضلاً عن تلقبه بشعار الملك وابهة السلطنة، كان محباً للعلم، له العديد من المؤلفات، للمزيد: ينظر: الكتبي: الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٦٨.

(٩٦) المقريزي: السلوك، ج٣، ص١٥٣.

(٩٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥٩.

(٩٨) ابن مهنا بن فضل بن ربيعة كان اميراً لفضل من بني طيئ، خدم السلطان الناصر عندما كان بالكرك ولد سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٣٥م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٣٨٠-٣٨١.

(٩٩) اليوسفي: نزهة الناظر، ص١٨٩-٢٠٠؛الدوداري: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٩م، ج٩، ص٣٧٩.

(١٠٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٣.

(١٠١) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٤.

(١٠٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٤١ .

(١٠٣) تقع بين مصر والقاهرة، ذكرها ابن سعيد عند وصفه للقاهرة بقوله "وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة والمناظر فوقها كالنجوم، وعادة السلطان ان يركب في الليل"، للمزيد: ينظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٤.

(١٠٤) لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطاني، وهو مركب من لفظتين، احدهما خوان وهو الذي يؤكل عليه والثاني سلار لفظة فارسية بمعنى المقدم أي مقدم الخوان، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧١.

(١٠٥) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٤.

(١٠٦) بلدة بالصعيد الأدنى غربي النيل ، تقع في أسيوط وتعرف بابي تيج ، للمزيد: ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٠٦.

(١٠٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٢.

(١٠٨) زين الدين حاجي بن محمد بن قلاوون، ولد سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م ووالده في الحجاز، تولى السلطنة بعد عزل الأمراء لأخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، خلعه الأمراء سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، دام حكمه سنة وأربعة اشهر، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٣-٢٤؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ص٢٥٧.

(١٠٩) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٥.

(١١٠) ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة في الكرك سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، توفي سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، ومدة حكمه ثلاث سنين وثلاثة أشهر، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٥٢.

(١١١) من أكابر الأمراء في عهد الناصر محمد، وعهود أولاده من بعده، تولى نيابة دمشق سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٣م، قبض عليه السلطان الأشرف شعبان وسجن، ثم افرج عنه، ثم قبض عليه وخنق لصرامته سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدّر الكامنة، ج١، ص٢٤٠-٢٤١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٨٥.

(١١٢) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤١٦.

(١١٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٥.

(١١٤) ابن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى الحكم سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م وعمره عشر سنين، وقام الأمير يلبغا بتدبير شؤونه، ولم يسيطر على أمور دولته إلا بعد مقتل الأمير يلبغا سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، غير انه قتل بعد مؤامرة دبرها الأمراء بعد عودته من الحج سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص١١٣؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ص٣٤٣-٣٤٤.

(١١٥) المنهل الصافي، ج٣، ص٣٥٦.

(١١٦) بدائع الزهور، ج١، ق١، ص١١٥.

(١١٧) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٩٧م، مج٣، ج٢، ص٤١٨.

(١١٨) ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١٥.

(١١٩) وظيفة من وظائف أرباب السيوف، يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها في المطابخ والشرابخاناه والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء كل من في بيت السلطان من النفقات وما يجري ذلك من المماليك وغيرهم، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠؛ المقريزي: الخطط، ج٣، ص٦٤.

(١٢٠) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٩٦٩م، ج١، ص٢٩٥.

(١٢١) ابن ناظر الجيش: تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٣٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص١٧٢.

(١٢٢) الأمير سيف الدين الجاي بن عبدالله، من كبار الأمراء المماليك،عينه السلطان الأشرف شعبان امير مائة ومقدم الف، واصبح قائداً للجيش والبيمارستان المنصوري، توفي سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٨٢.

(١٢٣) لقب يطلق على الذي يتولى امير سلاح السلطان، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٢٨.

(١٢٤) اقامه المنصور قلاوون بالقاهرة سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وكان يتولى النظارة عليه بنفسه، ولكنه بسبب انشغاله كان ينيب عنه من يتولى النظارة، وجرت العادة في مدة حكم ابناء واحفاد الناصر محمد ان يتولى البيمارستان اتابك العساكر، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٤؛ ليلى عبدالجواد بعض اضواء جديدة على وظيفة ناظر البيمارستان المنصوري، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، المجلد الأول، ص٢١٤.

(١٢٥) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٥٨.

(١٢٦) النجوم الزاهرة، ج١١، ص٥٧-٥٨.

(١٢٧) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٥٩؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١٧.

(١٢٨) ابن حجر: انباء الغمر، ج١، ص١٦٣-١٦٤.

(١٢٩) الأمير بردبك العبد الرحمن الظاهري، شغل وظيفة مقدم الف، وتولى نيابة غزة سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، ثم نيابة دمشق سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، حتى عزل منها سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، ثم أعيد لها مرة ثانية سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م واستمر بها نائباً إلى سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٨٠م، توفي في السنة نفسها،

للمزيد: ينظر: السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ج٣، ص٦؛ ابن طولون: أعلام الورى، ص٨٥-٨٩.

(١٣٠) المصدر نفسه ، ص٨٥-٨٦.

(١٣١) محلة بظاهر مسجد دمشق، من جهة القبلة، للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٨؛ البغدادي، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م): مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ج٣، ص١٠٦٦.

(١٣٢) ابن طولون: أعلام الورى، ص٨٥-٨٦.

(١٣٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٧٩.

(١٣٤) ابن انص العثماني اليلبغاوي، اول سلاطين المماليك الجراكسة، كان اسمه قبل ذلك الطنبغا، فسماه استاذه يلبغا برقوق، تسنم حكم السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وحكم ست سنين وعشرة أيام، ثم اختفى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، وظهر بالكرك، ثم عاد للحكم مرة أخرى، توفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ص١٨٧-١٨٨؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣١٢.

(١٣٥) ابن حجر: انباء الغمر، ج٢، ص١١٦.

(١٣٦) لفظ مملوكي مفرده خاصكي، وهو نوع من المماليك السلطانية، وهم من المماليك الاجلاب، دخلوا الخدمة صغاراً، وصاروا من حرس السلطان الخاص، وكانوا يحضرون على السلطان في اوقات خلواته وفراغه ويمتازون بلباسهم الطرز المزركش ، للمزيد: ينظر: محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٦.

(١٣٧) يكون تحت امرته عشرة مماليك، وليس له الحق في دق الطبول تشريفاً له، للمزيد: ينظر: محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٤٤.

(١٣٨) أبو السعادات زين الدين فرج بن برقوق، تولى السلطنة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، وخلع سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م وكانت مدته الأولى ستة سنين وخمسة شهور، واعيد للسلطنة وتوفي في السنة نفسها، للمزيد: ينظر: الحنفي ،عبد الباسط بن خليل (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) : نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ،تحقيق كمال الدين عز الدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٧م، ص١٢٠.

(١٣٩) ابن عبدالله، وهو والد المؤرخ المشهور أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، كان نائباً على الشام، قتل سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، للمزيد؛ ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص٣١.

(١٤٠) البجاسي الشركسي، اتابك العساكر زمن السلطان برقوق، قربه وادناه ثم بعده امسك وقتل بقلعة دمشق، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٤.

(١٤١) سيف الدين الحسني الظاهري، تنقل في خدمة استاذه إلى ان ولاه نيابة دمشق، وحبس بقلعة دمشق، وتوفي مقتولاً سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٤٤.

(١٤٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢١٣.

(١٤٣) ابن الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج٢، ص٨١.

(١٤٤) ولد بعد سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، وعندما اختفى الناصر فرج سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، تم توليته السلطنة، ثم خلع بعد عودة الناصر فرج، وانتقل مع اخيه إبراهيم إلى الإسكندرية، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الأساطين ، ص١٢٣.

(١٤٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤١؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٤٩٢.

(١٤٦) ابن حجر: ابناء الغمر، ج٣، ص٥٠٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٤٧.

(١٤٧) بنت صرغتمش، توفيت سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٧٦.

(١٤٨) ابن المؤيد شيخ المحمودي، تسنم السلطة بعد موت أبيه سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وكان عمره وقتذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة ايام، توفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز احمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص١٤٠؛ الحنفي: نزهة الأساطين، ص١٢٨.

(١٤٩) أبو الفتح سيف الدين الملك الظاهر، تولى السلطنة سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م في دمشق، ومات في السنة نفسها، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الأساطين، ص١٢٩.

(١٥٠) العيني: الروض الزاهر في سيرة الظاهر ططر، ارنست، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٨.

(١٥١) بنت عبدالله الجركسية الاشرفية، زوجة الأشرف برسباي، وأم ولده العزيز يوسف، اشتراها الأشرف وتزوجها سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥، ص١٤-١٥؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٢، ص١٧.

(١٥٢) ابوالنصر ابن عبدالله الظاهري الملك الاشرف، وهو السلطان الثاني والثلاثون من ملوك الترك، والثامن من ملوك الجراكسة، تولى السلطنة سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م وتوفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٥٣) الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ج٣، ص٣٦١.

(١٥٤) المنهل الصافي، ج٥، ص١٤-١٥.

(١٥٥) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص٣٨٨؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٥٧؛ أحمد عبدالرزاق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٤٥.

(١٥٦) أبو النصر العلائي، تولى السلطنة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م بعد عزل العزيز عثمان بن جقمق حتى وفاته سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الاساطين، ص١٣٧-١٣٨.

(١٥٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص٥٢٥.

(١٥٨) ابن اينال، تولى السلطنة في إثناء مرض أبيه سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، وخلع في السنة نفسها، ولم يدم حكمه سوى أربعة أشهر وثلاثة أيام، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: مور اللطافة، ص١٧١-١٧٢.

(١٥٩) الاشرفي اينال زوج ابنته، نفي إلى مكة وتوفي فيها سنة ٦٨٨هـ/ ١٤٦٣م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٥٠٤.

(١٦٠) ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٧٠.

(١٦١) البجاسي زوج بنت السلطان الظاهر اينال الاجرود، تولى نيابة دمشق سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٢م وبقي بها حتى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٩٦م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧.

(١٦٢) أعلام الورى، ص٨٤.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص٨٤.

(١٦٤) وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها، واخذ خط السلطان عليها وتفسيرها والجلوس بدار العدل لقراءة القصص (الطباق، الاستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في امور البريد، للمزيد: ينظر: محمد أحمد دهمان، الألفاظ المملوكية، ص١٢٧.

(١٦٥) الذي يتولى في امر الجيوش وضبطها، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص١٥٠.

(١٦٦) صاحب الدواة، وهي وظيفة عند المماليك كانت لكتاب بسيط، ثم صارت للاقتصاص بالرسائل، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص٧٩.

(١٦٧) ابن حجر: انباء الغمر، ج٣، ص٤١٠.

(١٦٨) تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م): مجموعة الفتاوي، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥ ، ج٢، ص٧٧.

(١٦٩) ابن حجر: انباء الغمر، ج٣، ص٥٤٣.

(١٧٠) تقع في الثغور بين الشام وبلاد الروم. للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧.

(١٧١) مدينة مشهورة من بلاد الروم، ضمت للمسلمين، وحكامها كانوا من السلاجقة، للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٧٥.

(١٧٢) ثاني اهم مدن سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، للمزيد: ينظر: كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة يشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٧٤.

(١٧٣) ابن حجر: انباء الغمر، ج٤، ص١٠٤.

(١٧٤) مجموعة من الفقراء المعدمين الموجودين في المدن الكبرى كالقاهرة، ودمشق وحلب والقدس ومكة المكرمة وحمص وحماة، وكانوا يسكنون في المنازل والمساجد والشوارع، يعتاشون من صدقات السلاطين والأمراء والأغنياء، ويطلق على الفرد منهم الازعر أو الشاطر أو العائق، وفي مصر يعرفون بالحرافيش، وفي العراق يعرفون بالعيارين، وصفهم ابن بطوطة بأنهم طائفة كبيرة من اهل الصلابة والجاه، للمزيد: ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة (تحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ،ج١، ص٢١٤؛ ايرا لابدوس: مدن اسلامية في عهد المماليك، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٩٤-٢٩٥.

(١٧٥) أبو النصر سيف الدين قايتباي الاشرفي الظاهري ، تولى السلطنة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، توفي في القاهرة سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، للمزيد: ينظر: ابن اياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ٢-٣.

(١٧٦) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩٧.

(١٧٧) ابن طولون: نفسه ، ص ٩٧.

(١٧٨) نفسه، ص٦٩.

(١٧٩) نفسه، ص٦٦.

(١٨٠) ابن الأشرف قتيباي، تولى السلطنة بعد خلع والده نفسه سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٦م ونازعه خاله، وتولى السلطنة على مدتين حتى قُتل سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الأساطين، ص١٤٧-١٤٩.

(١٨١) أبو سعيد المحمدي، تولى السلطنة بعد مقتل ابن اخته الناصر محمد في ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م حتى ذي القعدة سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥١.

(١٨٢) بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٧.

(١٨٣) الأحمر، تولى نيابة دمشق سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، توفي سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م، للمزيد؛ ينظر: ابن طولون: أعلام الورى، ص١٠٥-١١٤؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م):

الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٠١.

(١٨٤) بدائع الزهور، ج٣، ص٤٠٦.

(١٨٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٩.

(١٨٦) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٢١٥؛ رضا عمر كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ص٢٥١.

(١٨٧) ابن الملك المنصور بن الناصر بن المنصوري ، تولي السلطنة بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، ووقعت له عدة امور ادت إلى خلعه وتولية اخيه الأشرف كجك ، فنفي إلى قوص ، ثم قتل بأمر من الأمير قوصون سرا سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، للمزيد: ينظر: ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١ ، ص٢٧١-٢٧٢؛ ابن تغري بردى : الدليل الشافي ، ج٢ ، ص٨٢٣.

(١٨٨) الناصري، كان شابا ظريفا ، جلب من بلاد القان ازبك، فاشتراه الناس بستة الآلف درهم ، ثم اصبح من مماليك الأمير قوصون ، فتقرب إلى السلطان الناصر محمد الذي افرط في العطاء له، قتل في سجن الإسكندرية سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، للمزيد: ينظر: ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج١، ص٢٨١-٢٨٢.

(١٨٩) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٣٠.

(١٩٠) علي السيد محمود: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٦٤.

(١٩١) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص١٠٥؛ الدوداري: كنز الدرر، ج٨، ص٣٠-٣١.

(١٩٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٧٨-٤٧٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٠-١١؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٩١-٢٩٢؛ بيبرس الدوداري: التحفة المملوكية، ص٣٤-٣٥.

(١٩٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٥٠٣.

(١٩٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٤٤١.

(١٩٥) النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص٢٩٤؛ الدوداري: التحفة المملوكية، ص٣٩.

(١٩٦) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٩٣.

(١٩٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٧-٣٧٨.

(١٩٨) النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص٢٩٣.

(١٩٩) بنت الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب (7) ، توفيت في مصر سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م، للمزيد: ينظر : السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ،

تحقيق محمود ربيع و حسن قاسم، مطبعة العلوم والآداب، القاهرة ، ١٩٣٧م ، ص١٠٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٥١١.

(٢٠٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧٤.

(٢٠١) الأسعد هبة الله ، كان نصرانياً ثم اسلم، وكان في بادئ امره ملازماً لخدمة الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل الأيوبي، وقد استوزره عز الدين أيبك، ونال حظوة عنده، وبعد مقتل الأول أُهين وقتل سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، للمزيد: ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٩٩.

(٢٠٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٩٥.

(٢٠٣) المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٦٤.

(٢٠٤) النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص٢٩٤.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ج٢٩، ص٢٩٤.

(٢٠٦) المصدر نفسه، ج٢٩، ص٢٩٩.

(٢٠٧) العيني: عقد الجمان، ج١، ص٣٥٤؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠٩.

(٢٠٨) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٢١٦؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠٩.

(٢٠٩) ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، مطبعة الأمير، بيروت، ١٩٤٢م، ج٧، ص٩٤؛ الدوداري: التحفة المملوكية، ص٨٧؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٧١.

(٢١٠) النويري: نهاية الارب، ج٣٠، ص٢٣٧.

(٢١١) النهج السديد، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢١٢) تولى السلطنة مرتين، الأولى (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م)، والثانية (٧٠٠-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦٠م)، توفي سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٤١م، للمزيد: ينظر: الصفدي: أعيان العصر واعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد واخرون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٤٧.

(٢١٣) أمره السلطان الناصر حسن وقدمه على الف، واصبح امير مجلس، وكان يلبغا على رأس من قام على استاذه الناصر حسن حتى قتل، تولى عدة وظائف في عهد سلاطين المماليك، قتل على يد مماليكه في عهد الأشرف شعبان سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٧٠.

(٢١٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٤١٦.

(٢١٥) من مماليك الناصر، تنقل في عدة مناطق واستقر في تنقل ورأس نوبة الجمدارية، تزوج أم السلطان الصالح إسماعيل، وصار مدبر امر مملكته، قتل في عهد السلطان المظفر حاجي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، للمزيد: ينظر: المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٢٠.

(٢١٦) تقدم في ايام الناصر، وتزوج ابنته، وحظي عنده، فلما اتصل بالملك المنصور أبي بكر اختص به ، وبعد ذلك قبض عليه قوصون، وسجنه بالإسكندرية، توفي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٦، ص١٢١.

(٢١٧) السلوك، ج٤، ص٣٢.

(٢١٨) ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٨٠.

(٢١٩) المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٣.

(٢٢٠) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص٧٠.

(٢٢١) السخاوي: الضوء اللامع، ج١٢، ص٧٠؛ الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ج٢، ص٦٩؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ص٣٣٥.

(٢٢٢) علاء الدين بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م وعمره خمس سنوات، ودبر امر السلطنة الأمير قوصون، وخلع في نفس السنة، توفي سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج٢، ص٥٥٥.

(٢٢٣) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٨١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨١.

(٢٢٤) ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٦٠.

(٢٢٥) من أمراء المماليك ، حضر مع الجماعة التي احضرت ابنة اخي القان ازبك ، وحظي بمكانة كبيرة عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، قتل في سجن الإسكندرية سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، للمزيد: ينظر: ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص٢٥٧.

(٢٢٦) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٢١؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٤؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٣٩.

(٢٢٧) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٥؛المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٣٧.

(٢٢٨) تولى وظيفة أمير الطبلخانة في ايام الناصر محمد بن قلاوون، ولما توفي الأخير صار من جملة مماليك الأمير قوصون الذي سيطر على مقاليد الدولة ايام أبو بكر محمد بن قلاوون، وتولى قتل السلطان أبو بكر بمشورة قوصون، وتم القبض عليه وارسل إلى الإسكندرية، وقتل سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، للمزيد: ينظر: المقريزي: السلوك، ج٣، ص٢٣٨-٢٨٤.

(٢٢٩) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٤٦-٣٤٩.

(٢٣٠) ابن اياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٤٢٨.

(٢٣١) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص١٢٦، ص٤٢٨؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٥٩.

(٢٣٢) احد أمراء دولة المماليك الجراكسة، كان والياً على القاهرة، قتل على يد السلطان فرج بن برقوق سنة ٨١٤هـ/ ١٣١١م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢١٤.

(٢٣٣) المقريزي: السلوك، ج٦، ص٣٠٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٣١.

(٢٣٤) المصدر نفسه، ج١٣، ص١٣٠-١٣١.

(٢٣٥) المصدر نفسه، ج١٤، ص١٠٧؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٨٢٧.

(٢٣٦) ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٧١.